جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب:
بوزيزة بشرى ركيبي رميسة

يوم:02/07/2020

تلمسان في الشعر العربي
"فترة بني عبد الواد أنموذجا"

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الرحمان تيبرماسين	أ.د	بسكرة	**مشرف ومقرر**
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية : 2019 - 2020

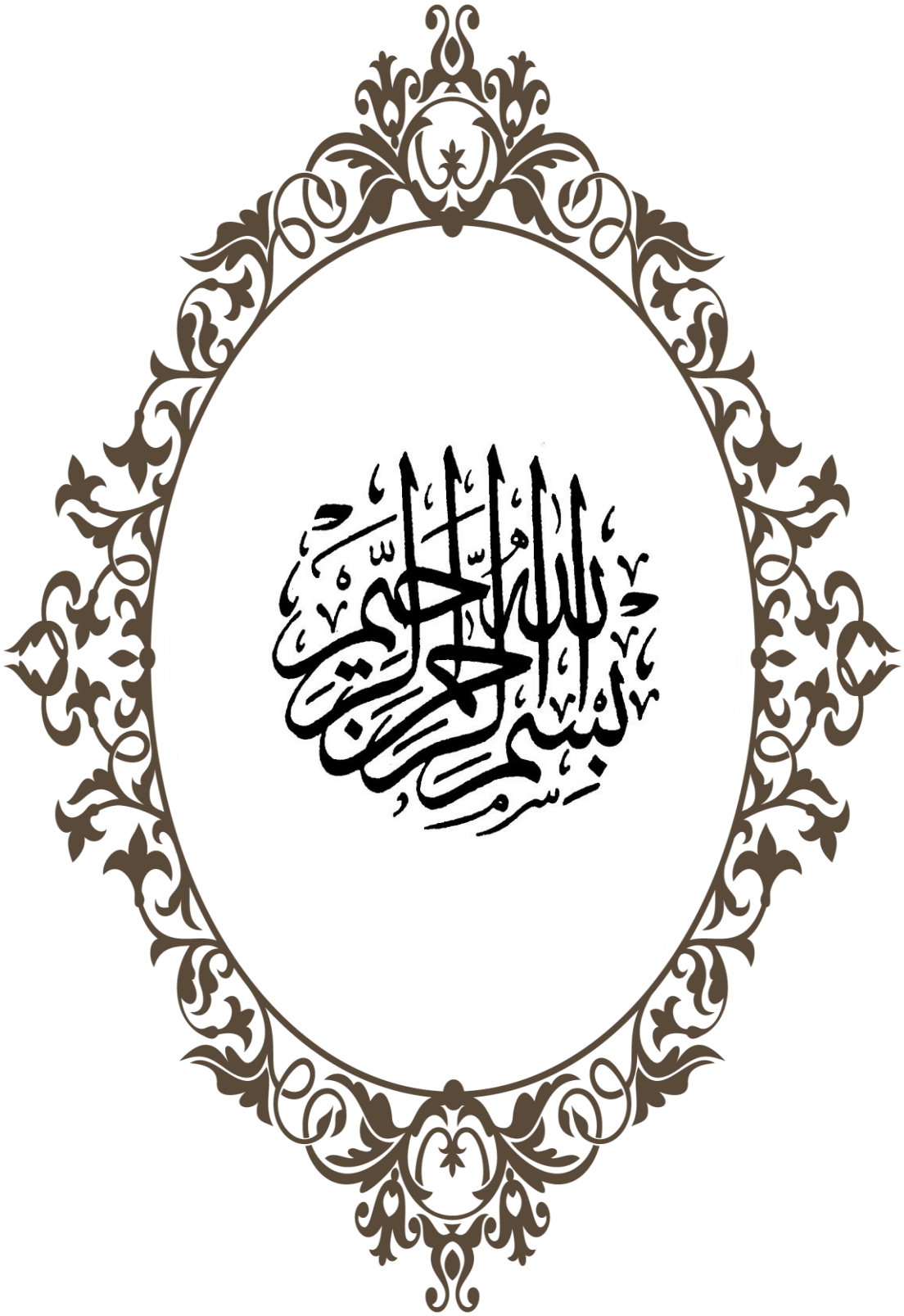
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ

قائمة الرموز المستخدمة

الرمـز	اسم المصطلح
د ب	دون بلد
د ط	دون طبعة
هـ	تاريخ هجري
م	تاريخ ميلادي
مج	مجلد
ج	الجزء
ع	العدد
تح	تحقيق
*	بعض المصطلحات الغير مفهوما

مقدمـــــــــــة

لايزال الأدب العربي في بلاد المغرب العربي في حاجة ملحّة إلى الدخول في إطار البحث والدراسة، ولقد أجمع كوكبة من العلماء والدارسين على أن تراث هذه البلاد ثري بمعارفه وعلومه وغني برجالاته ومجالاته ، وبالنظر إلى هذه الخزانة الأدبية التي تدّخر في رفوفها إرث حضاري وفكري مهم ، فهو لم يحظ بالاهتمام اللائق من طرف الباحثين، وما يزال موضوعا بكرا لأن ما كتب حوله للآن لا يمثل إلا جهدا لا يذكر مقارنة بحقوله الواسعة، ولم يستطيعوا إماطة اللّثام ولو عن جزء من أدب المغرب باعتباره كيان الأدب العربي الذي يجب أن يغترفوا من بحره الذي لا ينضب معينه، رغم فقدانه لدعائمه الأساسية، وهي اندثار آثار بعض أدبائه الذين حملوا لواء السموّ بأدب المغرب العربي، فقد ساهموا في توسيع رقعة موروث الحضارة العربية الإسلامية.

ولقد ظلّت جهود الدارسين للأدب المغربي مغمورة، بسبب الاستعمار فقد طمس جميع معالم الحضارة في هذا الجزء من العالم الذي يضم أعرق وأعظم الحضارات التي عرفتها البشرية، أو ربما لا توجد أقلام فذّة وبارزة تدخل في غمار البحث واكتشاف الكنوز الأدبية الدفينة تحت ساعة الزمن، والتي لاتزال عقاربها تحاول التنقيب عنها رغم اضمحلالها بأعماق وحل الاندثار والضياع.

ومن بين الكنوز التي كانت تصارع على البقاء في وسط عُباب الشتات والتلاشي، تظهر لؤلؤة عاصمة الزيانيين (العبد الواديين) وهي أول حاضرة علمية وأدبية في المغرب الأوسط ، فقد كان البلاط الزياني يعجّ بالشعراء والفنانين والأولياء والفقهاء والعلماء، بفضل الازدهار العلمي والتطور الحضاري والنماء العمراني والاقتصادي، وكل هذا كان بفضل سياسة ملوكها وسلاطينها الذين أحبوا العلم وشجعوه، والفن تذوقوه إضافة إلى تاريخها الحافل بالبطولات المجيدة والتليدة فقد صمدت في وجه حصارات عدة وأشهرها، الحصار الذي فرضه المرنيين دام ما يقارب عن ثمانية سنوات فقد ذاق شعبها الويلات وتجرّع الأمرين.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد اخترنا هذا البحث لعدة أسباب:

رغبتنا الشديدة والملحة للدخول في سباق البحث العلمي في الأدب الجزائري، كما نريد تطوير الأدب المغربي لأنه يمثل بطاقة هوية للعالم العربي باعتباره عريق بأصالة تاريخه وتنوّع موروثه الثقافي، رغبتنا في إرساء سفن البحث على ميناء تلمسان التي اقتطفناها من جوف خلية شمال إفريقيا للكشف عن تركيبته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية

لنضيء هذه الجوانب، ومعرفة كيفية تشخيص الشعراء العرب لتلمسان التاريخية التي تساهم في خلق فضاء لقراءة جديدة وتأويل ذي أبعاد مختلفة.

المنهاج المتبع في البحث:

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التكاملي لأنه يتلاءم وطبيعة موضوعنا، لأنه سار وفق المنهج التاريخي الذي اتبعناه في دراسة الظاهرة وتتبعها تاريخيا من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية، والمنهج الوصفي التحليلي فهو يواجه النصوص الشعرية مباشرة ويستخرج أحكامه بعد عملية وصفها وتحليلها ومحاورتها، فهو يستنطق النص ويصل إلى الدلالات المسكوت عنها.

إشكالية البحث:

من هذا المنطلق حاولنا طرح الإشكال الآتي:

كيف كان تلقي الشعراء العرب لحاضرة تلمسان؟ وكيف كانت صورها في الشعر العربي القديم في فترة بني عبد الواد؟

كان هذا هو السؤال المركزي في موضوع بحثنا، أما التساؤلات الفرعية يمكن طرحها كالآتي:

هل كان تلقي صورتها كحاضرة علمية فقط؟

هل كان لها خلفية دلالية أخرى؟

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه إلى: مدخل وفصلين الأول نظري والثاني تطبيقي.

المدخل عنوناه بومضة عن الدولة الزيانية (تلمسان) تناولنا فيه:

الموقع الجغرافي لمدينة تلمسان.

أصل بني عبد الواد ونسبهم.

الأسماء القديمة لمدينة تلمسان.

نماذج شعرية لشعرائها (الثغري التلمساني، المقري التلمساني، محمد التلاليسي).

الفصل الأول الذي عالجنا فيه الفضاء الزمكاني للدولة الزيانية في فترة بني عبد الواد من خلال عنصرين :

أولا: الحياة السياسية وأهم الأحداث التاريخية.

ثانيا: الحياة الاقتصادية من خلال (الزراعة والتجارة والعمران).

أما الفصل الثاني الذي تناولنا فيه تلمسان في الشعر العربي القديم في فترة بني عبد الواد من خلال ثلاثة عناصر:

أولا: تلمسان الحاضرة العمرانية

ثانيا: تلمسان الحاضرة الطبيعية

ثالثا: تلمسان الحاضرة الأخلاقية

وأخيرا ختمنا البحث بخاتمة وهي عبارة عن حصيلة عامة واستنتاجات حول موضوع البحث.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

وقد استندنا في بحثنا بفصليه النظري والتطبيقي على جملة من المصادر والمراجع الهامة التي دفعت بالبحث وسهلت مسالكه ونذكر منها:

كتاب تاريخ الأدب الجزائري لمحمد الطمار، وكتاب أبوحمو موسى الزياني لعبد الحميد حاجيات، كتاب تلمسان عبر العصور لمحمد الطمار، كتاب باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان للحاج محمد بن رمضان شاوش الجزء الأول والثاني، كتاب تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي.

الصعوبات المعترضة:

لم تواجهنا صعوبات وعراقيل تحول بيننا وبين موضوع بحثنا سوى ما نجم عن كوفيد 19- 19covid كلفنا عدم التواصل الجيد بيننا من جهة وبين أستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور عبد الرحمان تبرماسين، الذي ذلل صعوبات البحث بتوجيهاته وإرشاداته القيمة وجميل صبره في تصويب الأخطاء وإخراج البحث في أبهى حلة.

فلا يسعنا إلا أن نتقدم له بجزيل الشكر والعرفان بما أغدق به علينا من نصح وتوجيه؛ فقد كان نعم المرشد والموجه والأب الناصح الأمين الملم بتنصلات البحث وإشكالاته وله منا جزيل الشكر والتقدير والعرفان بالجميل.

مدخـــــل

لقد ظلّت بيئة الأدب في بلاد المغرب العربي في طور النّضوج، وبحاجة إلى أبحاث ودراسات معمّقة، للكشف عن المكنونات الموجودة في ثنايا التّاريخ العربي الضّارب في القدم، وماقدّمه بعض الباحثين المهتمين بهذه الدراسة ماهو إلا جهد ضئيل لايذكر، مقارنة بما قدّمه المشارقة، حيث تناولوا أدبهم من زوايا مختلفة، فقد ألمّوا بأدبهم ، وانكبّوا على الدراسات والأبحاث، ليقدّموا صورة واضحة عن الإرث الحضاري والفكري والأدبي للعالم العربي، الذي لايزال يفتقر إلى أبحاث قائمة بذاتها، تكون بحجم تلك الحضارات التي تعاقبت عليه، وأفرزت من رحمها أدبا وثقافة لايستهان بهما.

من هنا وجب على الجيل النّاشئ من المغاربيين أن يقوموا بدور فعال للنّهوض بالأدب المغاربي، الذي غطّ في سبات عميق، يجب أن يتحمّلوا وزر البحث في هذا المجال للكشف عن أدبية هذا الأدب، وليزيد الإفهام ويزول الإبهام ويدخل ضمن إستراتيجية البحث العلمي لبعث آثار الأولين، ونفض الغبار الذي خيّم عليها.

بدأ الاهتمام بالأدب المغاربي وبالتحديد أدب المغرب الأوسط (الجزائر) في فترة مابعد الاستعمار الفرنسي، الذّي كان يعاني من غياب عن ساحة الدراسة التي ظلّت في صمت رهيب، لما وجدت من ثلة قليلة يعرفونها معرفة سطحية، وهذا كان من بقايا الاستيطان الفرنسي في الجزائر، فقد محى جميع معالم الحضارة والثقافة والهوية التي كانت تزخر بهم عروس المتوسط.

دخل الأدب الجزائري في سباق البحث والدراسة ونشأت البذور الأولى له، وهي عبارة عن مرحلة تمهيدية لفتح خزانة الأدب الجزائرية، في فترة بني عبد الواد بتلمسان، للتعرّف عن هذه الحاضرة التي تعدّ من أهمّ حواضر التّاريخ الإسلامي، بفضل الازدهار العلمي والنّماء الحضاري والزخم العمراني، فقد شهدت مرحلة إنتقالية من البداوة إلى أحضان الحضارة.

تلمسان مدينة مسورة على سفح جبل شاهق، يستقبلها بين أحضانه بودّ وحبّ، فيحميها من رمال الجنوب ولفحة الصحراء، وتتنفس بأشجار مورقة تحمل أكسجين الحياة، وذلك البحر الذّي يرسل إليها نسيما عليلا، فتبدو كآلهة البحر المزيّنة بتاج الموحدين، وطرحة الزيانيين، فألبست أبناء بني عبد الواد الجمال الأخّاذ الذّي يأسر الأنفاس، ويضرم في سويداء قلبهم نار الهيام.

وقيل عنها بأنّها:

> **« مدينة أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة، وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين [...] وهذا الوادي يمرّ في شرقي المدينة وعليه أرجاء كثيرة، وما جاورها من المزارع كلها مسقي، وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة ولحومها شحيمة سمينة ، وبالجملة إنها حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومراج تجارتها....» .**[1]

فلم تكن تلمسان تستمد من الأوطان الأخرى زرعا ولا ضرعا ولا خضرا ولا فاكهة، لذلك كانت موطنا طيبا لقاطنيها ومقاما حسنا لزوارها، حيث لمع اسمها وأصبحت ذات شأن في التاريخ ومثالا يحتذى بها.

---

[1] أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، 2000م – 1422هـ، مج 1، ص 248.

قام الجغرافيون والمؤرخون المسلمون بتحديد موقع الحاضرة الإسلامية تلمسان بأنّها:

« تقع تلمسان في الشمال الغربي من المغرب الأوسط بمكان مائل نحو الغرب [...] على خط طول 14,48° ودائرة عرض 33,42° على ارتفاع 830 م عن سطح البحر، تحيط بها الجبال والهضاب الصخرية من الجهة الجنوبية، ويحدها من الشمال الغربي مرتفع ترارة ، وجبال فلاوسن ، ومن الشمال الشرقي مرتفعات السبعة والشيوخ وتسالة ».[2]

وتعدّ تلمسان المنبع الرّقراق الذي يستمدّ وقوده من ماء البحر، فهو يغذّي الأودية والينابيع، لتشكل فسيفساء تزيّن لؤلؤة الغرب الجزائري.

أمّا الجغرافيون المحدثون فقد :«حددوا موقعها عند خط طول درجة واحدة و 30° غرب غرينتش، وخط عرض 34° و 53° شمال خط الاستواء ».[3]

نلاحظ من خلال التعريفين للموقع الجغرافي القديم والحديث أنّ هناك فرق، فالقديم إحداثياته تعتمد على أجهزة علمية ذات إمكانيات محدودة تتوافق وذلك العصر، أمّا في عصرنا الحالي فنلاحظ أنّ التكنولوجيا قطعت أشواطا لبلوغ قمة هرم التطور من خلال توافر الأقمار الصناعية التي تحدد بدقة متناهية المواقع الجغرافية.

---

[2] حسين التواتي: **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية**، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، دط، 2017م، ص 46،47.

[3] خالد بلعربي: **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية**، دار الألمعية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011م، ص 24.

وهذا ما جعل من موقع تلمسان قبلة وشعلة تدفع بدولاب العجلة الاقتصادية لتغذية الحضارة، فهي مدينة تحتوي على بساتين منتجة للفواكه والخضار بمختلف أنواعها، وهي مدينة تجارية وصناعية منذ نشأتها إلى يومنا ساعدها في ذلك موقعها الجغرافي الذّي يقع بين تقاطع الطّريقين التجاريين، اللّذان يربطان الشمال بالجنوب والشرق بالغرب.

أما أصل بنو زيان المعروفين ببني عبد الواد وهم«... ينحدرون عن القبيلة الزناتية الكبيرة ، هذه القبيلة التّي كانت مواطنها ضمن أرض الزاب ، وسفوح الأوراس ...» .[4]

وبقدوم الحروب انحرفت هذه القبيلة، ونفذت بريشها وحملت أوزارها وشدّت الرحال نحو الغرب، ليستقر بها المقام بتلمسان، وكان أيضا هناك عامل البحث عن الكلأ الذّي هو الآخر سببا لنزوحهم إلى الغرب، منذ الفتح الإسلامي، لمّا قدم عقبة بن نافع فاتحا شمال إفريقيا.

ويقال أيضا أنهم «... من نسل سجيح بن واسين بن يصلتين بن مسرى بن زكريا بن ورسيج بن مادغيسن الأبتر ... ».[5]

وهم عدّة بطون سنخص بالذكر بنو مرين وهم الأبرز، ويليهم بنو عبد الواد، وبعدهم بنو توجين*.

---

[4] بوزياني الدراجي: **أدباء وشعراء من تلمسان**، دار الأمل للدراسات، تلمسان، الجزائر، دط، 2011م، ص 149.

[5] حسين التواتي: **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية**، ص 29.

* بنو توجين من أعظم أحياء بني بادين وأكثرهم عددا، كانوا من ألدّ أعداء بني عبد الواد ومن أشدّ خصومهم، وهو الأمر الذي جعل الدولة العبد الوادية تجتاح أراضيها من حين لآخر.

رقم 01:

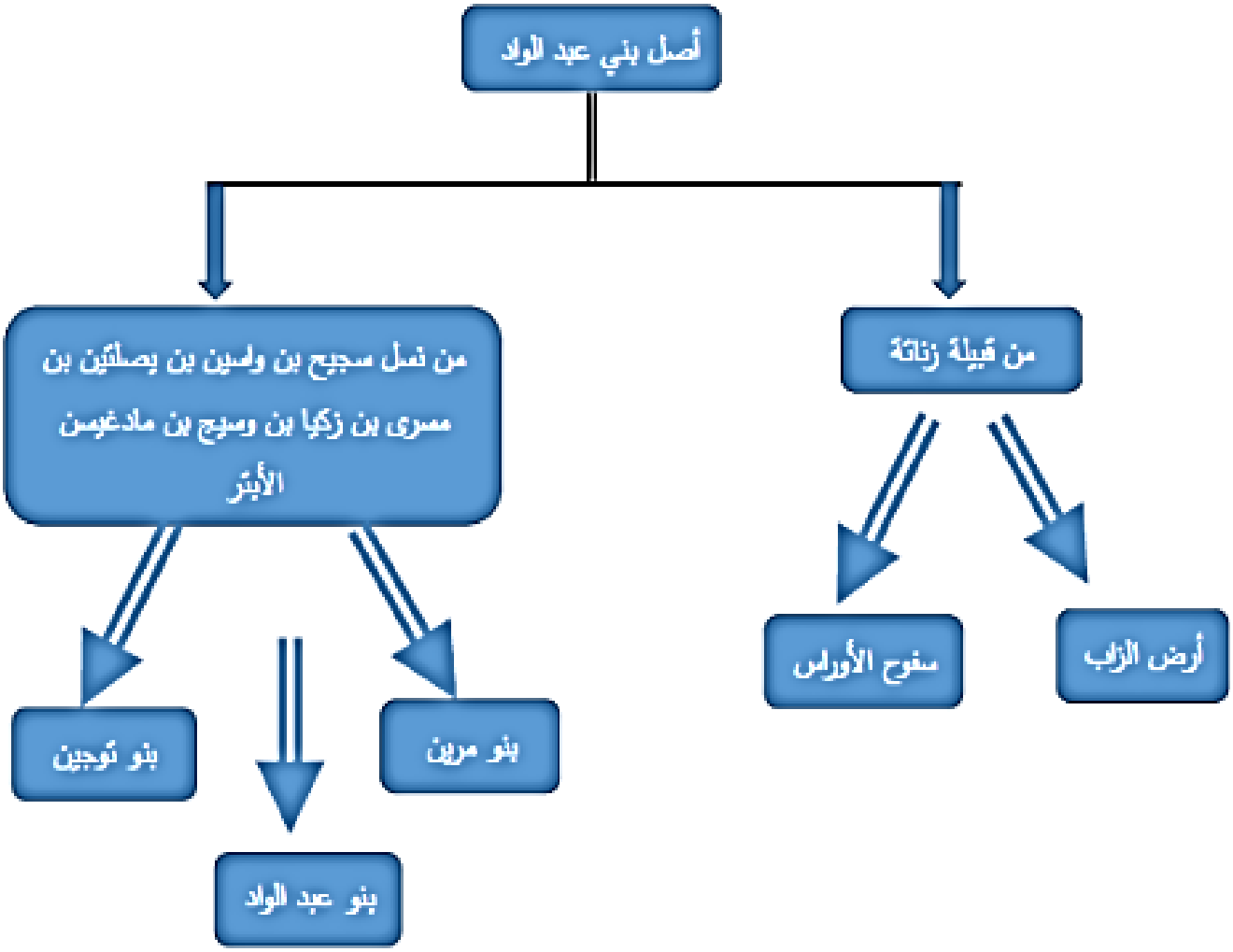

العنوان: مخطط يوضح أصل بني عبد الواد

رقم 02:

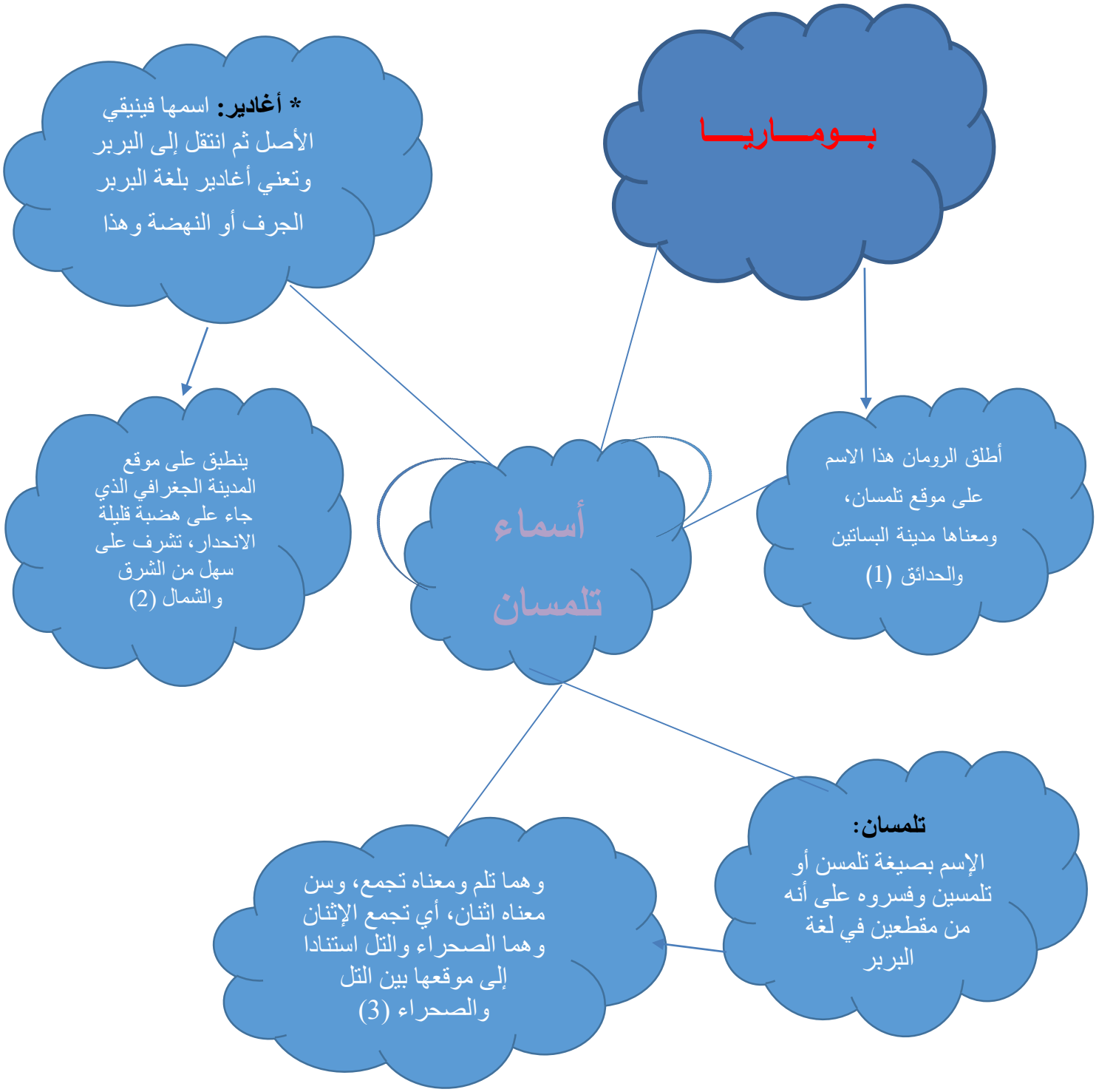

* توجد مدينة أغادير في المغرب وهي معروفة بالزلازل.

(1) خالد بلعربي: تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية، ص 37.

(2) المرجع نفسه، ص 35.

(3) المرجع نفسه، ص 39.

العنوان: مخطط توضيحي لأسماء تلمسان القديمة

وها هو" **المقري**" يذكر مناقبها، ويصفها بهيئة فتاة على قدر من الحسن والجمال، أصبحت الرياض عذارها، وأمسى الوادي معصمها، ووصف تلك الجسور التي تتدلى، بأنها أساور تتزيّن بها عروس الغرب الجزائري، حيث يقول: " من الكامل "

بَلَدٌ تَحُفُّ بِهِ الرِّيَاضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَالرِّيَاضُ غِدَارُهُ

وَكَأَنَّمَا وَادِيهِ مِعْصَمٌ غَادَةٌ وَمِنَ الْجُسُورِ سِوَارُهُ [6]

ويقول فيها ناثرا " **لسان الدين بن الخطيب**": « جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في موضع شريف، كأنّها ملك على رأسه تاج [...] ومائها بارد صريد، حجبتها أيدي القدرة ».[7]

فإقليمها زاوج بين (الصحراوي والريفي)، وكأنها واسطة العقد، وما أكسبها هذه المكانة هو موقعها، الذّي بمثابة كرسي عرش المتوسط، وماؤها الذّي تنهل الجداول منه، ويسقى الزرع بمائها الذّي يحيي النّبات ويبث فيه الحياة.

ونجد أيضا "**الثّغري التلمساني**"، الذّي يشقّ عصا الوصف ليتغنى بجمال تلمسان، وينتقي أجمل العبارات الرّاقصة في بلاط القلوب، فقد أفردها بوصف رنّان يدقّ طبول العواطف، ويعزف على قيثارة الخيال لتتشكّل سمفونية أجمل البلدان، في عهد بني زيان، اقتطفها من لدن الوجدان، التّي تزخر بهم تلمسان، يقول: " من الخفيف "

كُلُّ حُسْنٍ عَلَى تِلِمْسَانُ وَقْفٌ وَخُصُوصًا عَلَى رُبَى الْعِـــبَادِ

ضَحِكَ النُّورُ فِي رُبَاهَا وَأَرْبَى كَهْفٌ ضِحَاكِهَا عَلَى كُلِّ نَـادِ

وَسَمَا تَاجُهَا عَلَى كُلِّ تَـاجٍ وَسَطَا فَيْضُهَا عَلَى كُلِّ وَادِ

يدعى غَيْرُهَا الْجَمَالُ فَيُقْضَى حُسْنُهَا أَنَّ تِلْكَ دَعْوَى زِيَادِ[8]

ثم يدعونا لنرى الربيع المزهر، والورود وكأنها لآليء من الزّمرد والزّبرجد على أعناق الحسنوات، مشيدا بدولة أبي حمو الزياني، صاحب المنزل الرّفيع والعالي، ويعرج بنا ويأخذنا

---

[6] علي بوزيزة: **ابن خميس التلمساني**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2002 – 2003م، ص01.

[7] محمد الصالح الصديق: **يومان في تلمسان**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2011م، ص29.

[8] مليكة ضاوي: **المولديات في دولة بني عبد الواد الزيانية**، دار على بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2014م، ص44.

إلى واديها الشّرقي، وقد اكتسى حلّة زينتها زهور الربيع، وتنساب مياهه التي تتلألأ كاليراع اللاّمع، ويقول في سحرها: " من الكامل "

قُمْ فَاجْتَلِ زَمَنَ الرَّبِيعِ المُقْبِلِ تَرَ مَايَسُرُّ الْمُجْتَنِي وَالْمُجْتَلِي

...

وَانْظُرْ إِلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ كَأَنَّهُ دُرَرٌ* عَلَى لُبَّاتِ* رَبَّاتِ الْحَلِـي

...

سُلْطَانُهَا الْمَوْلَى أَبُو حَمُو الرَّضَى ذُو الْمَنْصَبِ السَّامِي الرَّفِيعِ الْمُعْتَلِي
تَاهَتْ تِلِمْسَانُ بِدَوْلَتِهِ عَلَى كُلِّ الْبِلاَدِ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الْجَلِي
رَاقَتْ مَحَاسِنُهَا وَرَقَّ نَسِيمُهَا فَحَلاَ بِهَا شِعْرِي وَطَابَ تَغَزُّلِي[9]

وثمة شاعر آخر كان ينير بلاط بني زيان، والذي يتمثل في"**أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي**"، وهو الآخر انكبّ على وصف تلمسان، ويمدح مولاه أبا حمو يقول: "من الطويل "

سَقَى اللهُ مِنْ صَوْبِ الحَيَا هَاطِلاً وَبْلاَ * رُبُوعَ تِلِمْسَانُ التِّي قَدْرُهَا اسْتَعْلَى
رُبُوعٌ بِهَا كَانَ الشَّبَابُ مُصَاحِبِي جَرَرْتُ إِلَى اللَّذَّاتِ فِي دَارِهَا الذَّيلاَ[10]

فتلمسان هي الدرّ المكنون من بنو زيان، التي كانت تعلو على ضفاف المتوسط، وهي شراع الحواضر الإسلامية.

---

* في نفح الطيب موجودة بمصطلح درٌّ.
* اللبّة هي موضع القلادة من الصدر.
[9] الثغري التلمساني: **ديوان الثغري التلمساني**، تح، نوار بوحلاسة، منشورات مخبر الدراسات التراثية، قسنطينة، دط، 2004م، ص 112،113.
* فيه كسر عروضي.
[10] محمد الطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2006م، ص 284.

الفصل الأول

–الفضاء الزمكاني في الدولة الزيانية في فترة بني عبد الواد

أولا: الحياة السياسية وأهم الأحداث التاريخية

ثانيا: الحياة الاقتصادية

أولا: الحياة السياسية:

لطالما تصفحنا في كتب التاريخ، وخاصة التّاريخ الإسلامي، وطال ذكر دولة الموحدين، والإسهاب في التّغني بها والإشادة بعظمتها، لأنّها بسطت نفوذها على شمال إفريقيا حوالي نصف قرن من الزمن، فهذه المدة التّي هيمنت فيها على المغرب العربي والعالم الإسلامي بشكل خاص، بحيث أصبحت دولة الموحدين قوة عسكرية وسياسية ضاربة في شمال إفريقيا.

كان خطر المسيحيين يرمق المسلمين من بعيد، وتشكّل هذا الخطر في الحروب الصليبية على بلاد المسلمين، لتغدو هذه الدولة بمثابة صمّام أمان، فصارت كالأسد الضّاري الذي يحمي أراضيه من الأطماع الإسبانية على بلاد الأندلس، فكانت دولة الموحدين ذلك الأمل الذي تزهر بذوره، وتورق أشجاره لتصبح ملجأ أمان، وشمس ظهيرة الآمال.

وكانت تدافع وبشراسة على بلاد المسلمين، وقام عبد المؤمن بن علي بتجهيز جيوش جرارة، وكان هو الصولجان الذّي يلوح في الأفق لقهر الزّحف الصليبي، وتوفي سنة «588 هـ» .[11]

استمرت المقاومة والجهاد، إلى أن انهزم المسلمون في واقعة« حصن العقاب* أيام الخليفة محمد الناصر بن يعقوب عام 609هـ »[12]، على يد الإسبان ، وهو ما نخر في عضد المسلمين ، لمّا استولى الإسبان على معظم الأراضي الأندلسية ، وهذه الهزيمة تسببت في ضعف دولة الموحدين ، ودخلت في فوهة الانقسام ، وفجوة الضّعف ، وبوتقة انهيار القواعد الأندلسية الكبرى ، وهكذا دواليك حتى« انقرضت الدولة على يد بني مرين عام 668هـ »[13]، وبدأت تتهاوى من أعلى جرف القوة ليجرفها تيّار التفكّك و التّشتت.

---

[11] لخضر سيفر: **التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي**، الأمل للدراسات، د ب، د ط، 2007م، ج1، ص353.

* وهي معركة انهزم فيها المسلمون وقعت قرب حصن أموي قديم يسمى العقاب في الأندلس.

[12] المرجع نفسه، ص 354.

[13] المرجع نفسه، ص 355.

رقم 03:

العنوان : صورة توضيحية لمعركة حصن العقاب

وفي ظل هذه الظروف المتدهورة، وخاصة أنّ جميع نقاط ضعف الدولــة أصبحت بادية للعيان، فوجدت بعض القبائل ضالّتها، لتنتهز الفرصـة، ولتتمكن من الانفصال عن لحمة الموحدين، وتستقل بذاتها، ومن بين هذه القبائل نجد قبيلة بني عبد الواد.

وكان أول من وضع حجر أساس الاستقلال عن الدولة الموحدية، وبسط يده على كرسي الحكم، هو يغمراسن بن زيان، فهو« أعظمهم في النفوس مهابة، وإجلالا وأعرفهم بمصالح قبيله، وأقواهم كاهلا على حمل الملك »[14]، وهذه الصفات التي يمتاز بها عن بقية أقرانه، جعلت منه أهلا لحسن التدبير والرياسة، وجعلته يتسلّق سلّم الارتقاء لامتطاء ملك الموحدين، وإحيائه لدولة بني عبد الواد، فقد أعاد إنعاشها، وضخّ القوة في أذرع الدولة.

بعد أن علا كعبه وظفر بحزام السلطة وتاج الملك، واشتدّ عوده، وأصبـح يمسك بزمام الأمور، وأضحى لا يصدّ عن فريسته، واعتلى العرش، وماهي إلا فترة وجيزة حتى بدأ التّهديد يتربص به، ولكن سرعان ماتيقّض للخطر المحدق به من نيات الحفصيين والمرينيين.

وقد كان يحاول أن يتودد إليهم، ويعقد هدنة بينهم، في حين بدأ يدبّ الشقاق وتتوالى الصراعات بينه وبين جيرانه من كل الجهات وقد«... حاول يغمراسن بعد ذلك الاستيلاء على سجلماسة التّي كانت تابعة لمرين ...» [15]، إلا أنّ محاولته باءت بالفشل الذّريع، ولم يجد بُدّا، سوى أن يجنح إلى تهدئــة الأوضاع، وأخذ استراحة محارب ، وقام بعقد الصّلح و السّلم بعدها، لكن ذلك لم يدم طويلا، وسرعان ما أقحم نفسه فيما لايحمد عقباه، فهو اقتحم نيران الحرب عنوة، دون النّظر إلى العواقب الوخيمة، ودخل معترك صعب المراس، وقد كان محــاربا لأعدائه لايشقّ له غبار.

وفي إحدى المعارك التّي دارت رحاها بشدّة« قتل ابنه فارس، سنة سبعين وست مائة»[16]، وبعد هذه الحادثة فرّ ونفذ بريشه ونجا بأهله، لكن سرعان ما استجمع قواه، وبدأ يخوض معارك ضاربة، لكن لم يكتب له انتصارات باهرة، فقد تمخّضت حروبه في الاستيلاء وتوسيع رقعة الدولة (العبد الوادية)، على حساب جيرانه من بني مرين وأحلافهم، لكنّه قاومهم مقاومة يشهد لها كبار المحاربين.

---

[14] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، مج 7، تح: عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 83.

[15] محمد بن عمرو الطمار: **تلمسان عبر العصور**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984م، ص84.

[16] المرجع نفسه، ص 86.

خلفه ابنه« أبو سعيد* (681 ـ703) »[17]، وبدأ بمواصلة جهود أبيه، وقد خاض الكثير من المعارك، واحتدمت الحروب الضروس، وواصل غارته علـى« توجين و مغراوة »[18] فقضى عليهما.

لكن سلسلة الانتصارات هذه لم تدم طويلا، فانتهت حلقات الريادة والصدارة، ويتحول مسلسل الصمود إلى فيلم رعب، لتنتهي الحلقة الأخيرة بفرض حصار رهيب على عاصمة الدولة الزيانية (تلمسان)، وبذلك كسرت شوكة بني عبد الواد، وأرهق كاهلها، وعاث المرينيون فيها فسادا.

وكان هذا الحصار الشعرة التّي قسمت ظهر البعير، فكانت بداية المعاناة في تلمسان من قبل أبو يعقوب يوسف*، وغدت لقمة سائغة بين مخالب المرينيين،« فأناحوا بها في شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة وأحاط بها العسكر من جميع جهاتها، وضرب أبو يعقوب يوسف عليها سياجا من الأسوار محيطا بها »[19]، وفي ظلّ هذه الظروف الخانقة، فقد كبّل شعبها بأصفاد العبودية، وقد ضيّق الخناق على تلمسان، وأصبحت تئنّ تحت وطأة الحصار، الذّي تركها تنزف غارقة في دماء الهلاك والانهيار، وذاق شعبها الويلات والأمرين.

و خلال هذا الحصار المميت «توفي السلطان عثمان بن يغمراسن»[20] ، متأثّرا بأوضاع ماآلت إليه مملكته تلمسان التّي حوصرت لمدة خمس سنوات،

وبعد وفاته مباشرة، قتل أبو يعقوب يوسف على يد رجل من العبيد بضربة خنجر وقطع أمعاءه وانتهت مدة الحصار بعد ثمانية ســنوات وثلاثة أشــهر

«(1299هـ ـ 1307 م) ».[21]

واعتلى عرشه ابنه أبو زيـان محمد، وتولى زمام الأمور من بعده، سنـة« (703هـ ـ 1303م)» [22]، وأراد أن يرجع الأوضاع الزيـانية إلى نصابها، وبدأ بترميم ما خربته براثن المرنيين، وحاول إعادة تشييد وبناء القصور والمباني والمساجد وغيرها.

---

* هو ثاني ملوك الدولة الزيانية توفي سنة 1304م.

* ولد سنة 533 هـ توفي سنة 580 هـ حكم بلاد المغرب والأندلس.

[17] عبد الحميد حاجيات: **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م، ص 14.

[18] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[19] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ص 99.

[20] حسين تواتي: **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية**، ص55.

[21] زكي بوزيد: **جزائر الأزل المواقع المدرجة ضمن التراث العالمي**، cpsللنشر، فرنسا، دط، 2007م، ص 199.

[22] حسين التواتي: **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية**، ص 55.

لما توفي أبو زيـان محمد، تربّع على الملك أبو حمو موسى الأول، وبعد مؤامرة حيكت ضده من طرف ابنه أبا تشفين، انتصب هو الآخر على العرش العبد الوادي، وتسلم تاج الزّيـانيين.

كانت فترة حكمه من أزهى مراحل الحكم، فقد بلغت الدولـة ذروة العطاء، وأوجّ ازدهـارها، فقد أحيا جميع القطاعات الكبرى، فنشطت الفنون وجميع الصناعات، وشهدت فترة تجديد واتّساع في العمران وكانت تطلّ على نوافذ الحضارة والتّقدم، وأنعش الاقتصاد وأحياه بعد تذبذب، غير «... أنّها استسلمت في الحصار الثاني في العام 1337، و سقط السلطان أبا تشفين وأبنـاؤه الثلاثة [...] تحت ضربات المرينيين بقيادة أبو الحسن»[23]، وتمكّنوا من كسر قبضة الدولة الزيـانية بعدما اشتدّ عودها، وألحقوا بـها هزيمة شنعاء، وانتزعوا الحكم منهم ثانية.

وتلته فترة خلافة أبو حمو موسى الثاني، وقد عرفت عاصمة الزيانيين (تلمسان) حضارة لم تشهدها من قبل، فكانت من أزهى مراحل الحكم، فقد أعاد المجد التليد الغابر لتلمسان، فانبلج فجر جديد على الزيانيين، فبلغت من الرقي والتقدم ما بلغت.

وتوالى على المملكة فترات حكم مضطربة وتلاشى المجد، ثم اضمحلت قوتهم، وأصبحت كأسد جريح رابض دون حراك، تحت هجمات العثمانيين لتدخل مرحلة الاحتضار.

[23] زكي بوزيد: **جزائر الأزل المواقع المدرجة ضمن التراث العالمي**، ص199.

رقم 04:

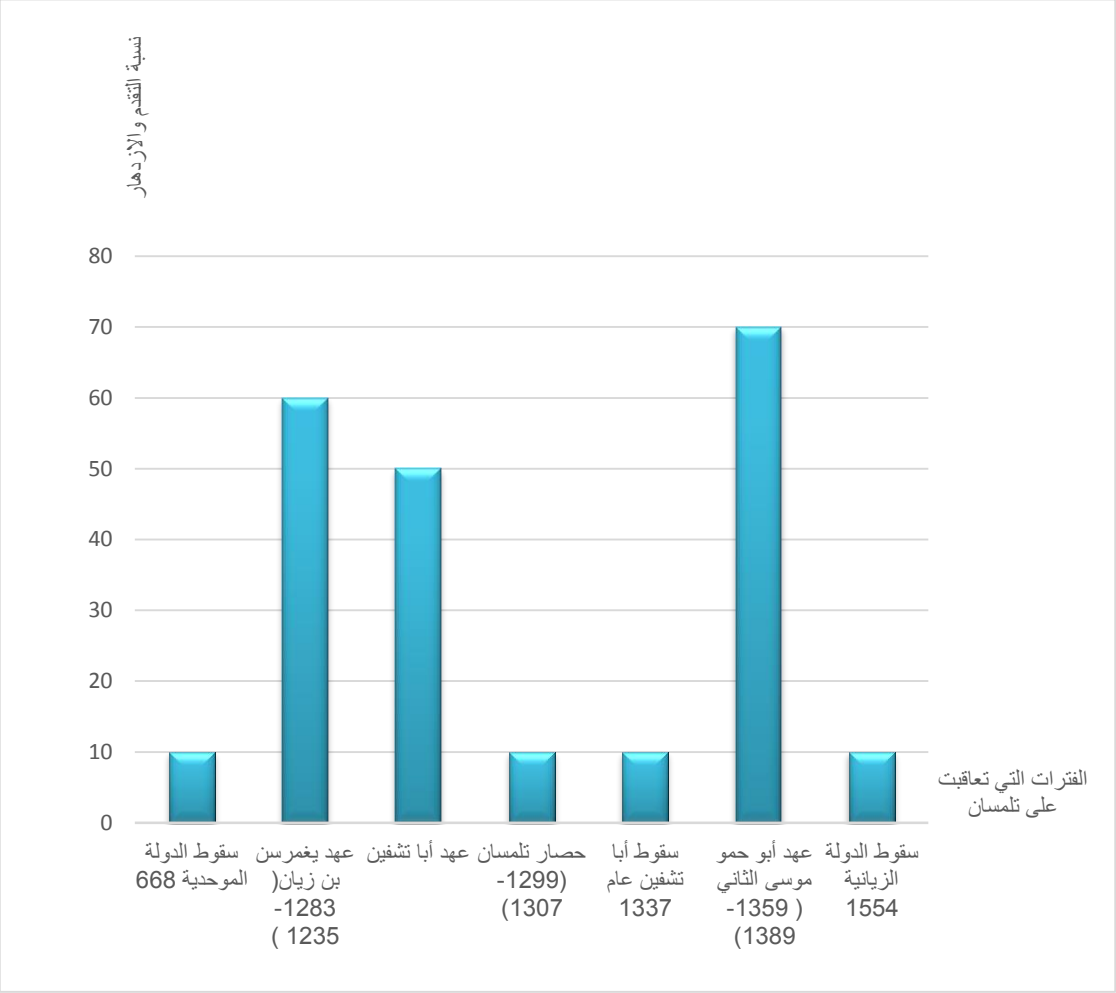

العنوان: رسم توضيحي لتمفصلات الحالة السياسية في تلمسان من حيث الازدهار والانتكاس

- من خلال الرسم البياني تتجلى فترات الازدهار بشكل بارز في عهد أبا تشفين وأبو حمو موسى الثاني وأبى يغمرا سن، أما في باقي العهود فيتضح انكاس الدولة وضعفها.

ثانيا: الحياة الاقتصادية:

الاقتصاد هو الشريان الذّي يضخّ الحياة في قلب النّظام السياسي للدول، وهو الذّي يحدد مدى ثراء الدولة وتقدّمها أو فقرها وانحطاطها، وممّا لا شك فيه أنّ رئة الحياة الاقتصادية تتنفس من إمكانيات وأجهزة تسيّرها المؤسسات وهياكل الدولة المختلفة من زراعة وتجارة وعمران.

أـ الزراعة:

لقد كانت المملكة الزيانية، هي ذلك البهو الذّي يدخلك إلى مكمن الزراعة، فتلمسان كإقليم جغرافي، يتوفر على كلّ العناصر التّي تجعل من الحياة الزراعية حياة نشطة ومتجددة، لم لها من تربة خصبة وينابيع ثرة ومجاري مائية، تساعد في سقي المزروعات المتنوعة سواء كانت جبلية أو سهلية، ممّا يسهم في تنوع الإنتاج الزراعي وتربية الحيوانات التّي تعدّ العصب الاقتصادي آنذلك، فهي كما يقول "**الإدريسي**" :«... خزانة زرع، ومسرح ضرع، فواكهها عديدة الأنواع [...] إلاّ أنّها بسبب حب الملوك *، مطمعة للملوك ...»[24]،

فهي منبت مختلف أنواع الفاكهة، ومستودع وترسانة لثمار الكرز، وموطنها على مرّ العصور، وأنواع أخرى كالرّمان والتّين والزّيتون والتّفاح...وغيرها.

وهي تغدق على بني عبد الواد، نتاجا يتهاطل من كلّ الجهات، وكانت الأموال تتدفّق على خزينتهم، فهذا أسهم في إثراء الدولة وازدهار اقتصادها.

اهتمّ الزيانيون بالفلاحة وتربية المواشي، يقول "**الإدريسي**":

«... وهذا الوادي يمرّ في شرقي المدينة ، وعليه أرجاء كثيرة ، وما جاورها من المزارع كلّها سقي ، وغلاّتها مزارعها كثيرة ، وفواكهها جمّة ، وخيراتها شاملة ، ولحومها شحيمة سمينة ، وبالجملة أنّها حسنة ، لرخص أسعارها ...» [25].

أصبحت تربية المواشي رائجة بشكل لافت، فتلمسان اشتهرت بتربية الأغنام والإبل والأبقار، لوفرة الكلأ وملائمة المناخ.

---

* اسم فاكهة وهي ثمرة الكرز.

[24] محمد الصالح الصديق: **يومان في تلمسان**، ص29.

[25] المرجع نفسه، ص24.

أمّا تربية الخيول فقد كانت رائجة ومزدهرة في الدولة الزيانية، لكثرة الطلب عليها، فهي وسيلة حرب وتنقّل، ووسيلة ترفيه في وقت السّلم لعشاّق فـن الفروسية، وكانت تشكّل الهدايا المفضلة عند السلاطين والأمراء في ممالكهم.

يقول الدكتور"**عبد الحميد حاجيات**":

«... كانت مختلف القبائل الزّناتية ، في المغرب الأوسط ، تقتطع أراضي التل الغنية ، فاستقلت مغراوة بناحية شلف ، واحتلّ بنو توجين جبل وانشريس ، وبنو راشد الجبل الذّي أصبح يحمل اسمهم ، وبنو عبد الواد الأراضي التاّبعة لتلمسان ...» [26].

فإقليم تلمسان إقليم استراتيجي من حيث الإنتاج الزّراعـي والتّبادل التّجـاري أيضا، وفي هذا الإقليم تشكّل مجتمع الدولـة الزيـانية المتنوّع من الفلاحـة والصناعة والحرفيين وطبقة الساسة التّي تسيّر البلاد.

[26] عبد الحميد حاجيات: **أبو حمو موسى الزياني**، ص12.

رقم 05:

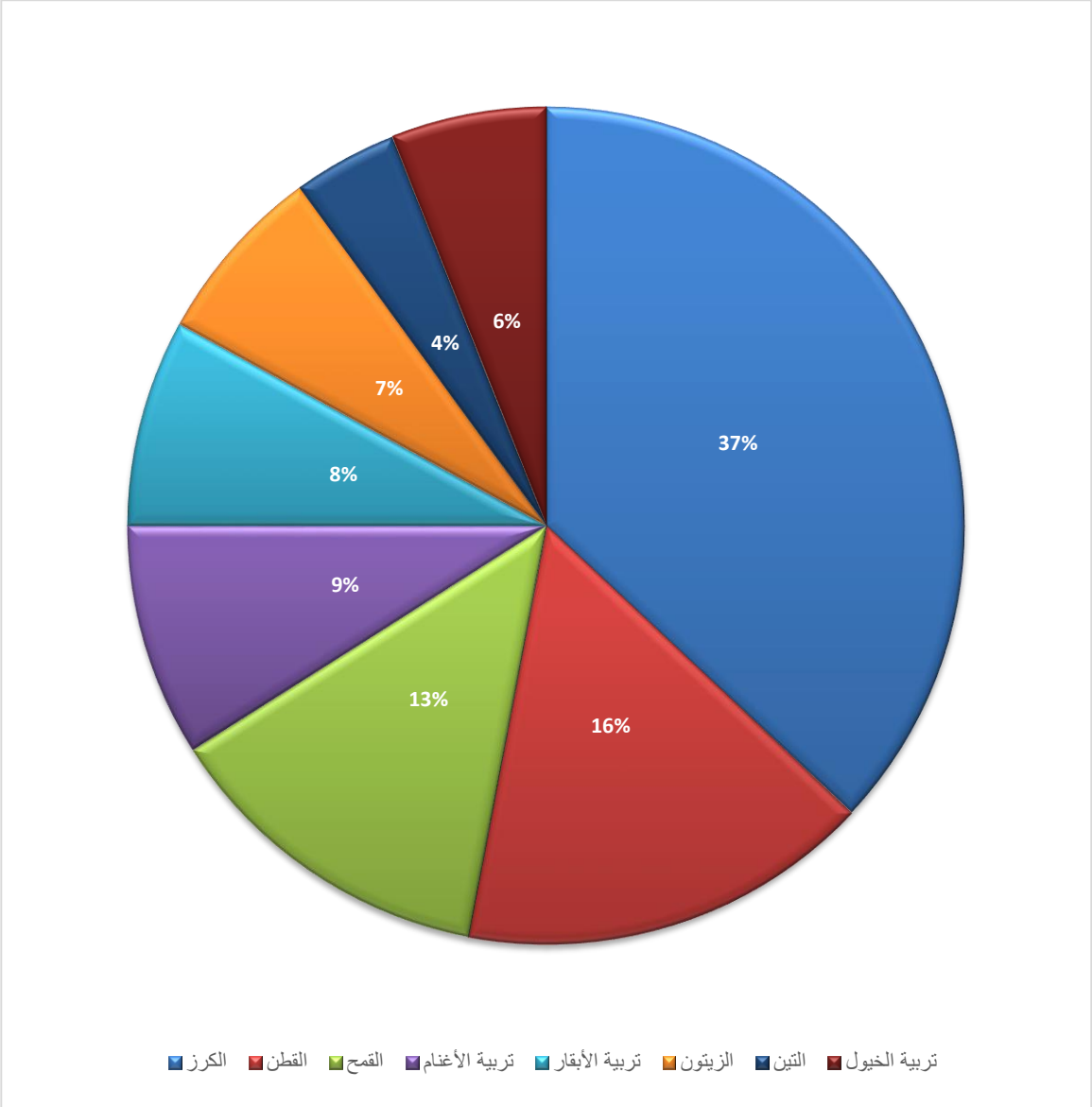

العنوان: دائرة نسبية لإحصاء قطاع الزراعة

رقم 06:

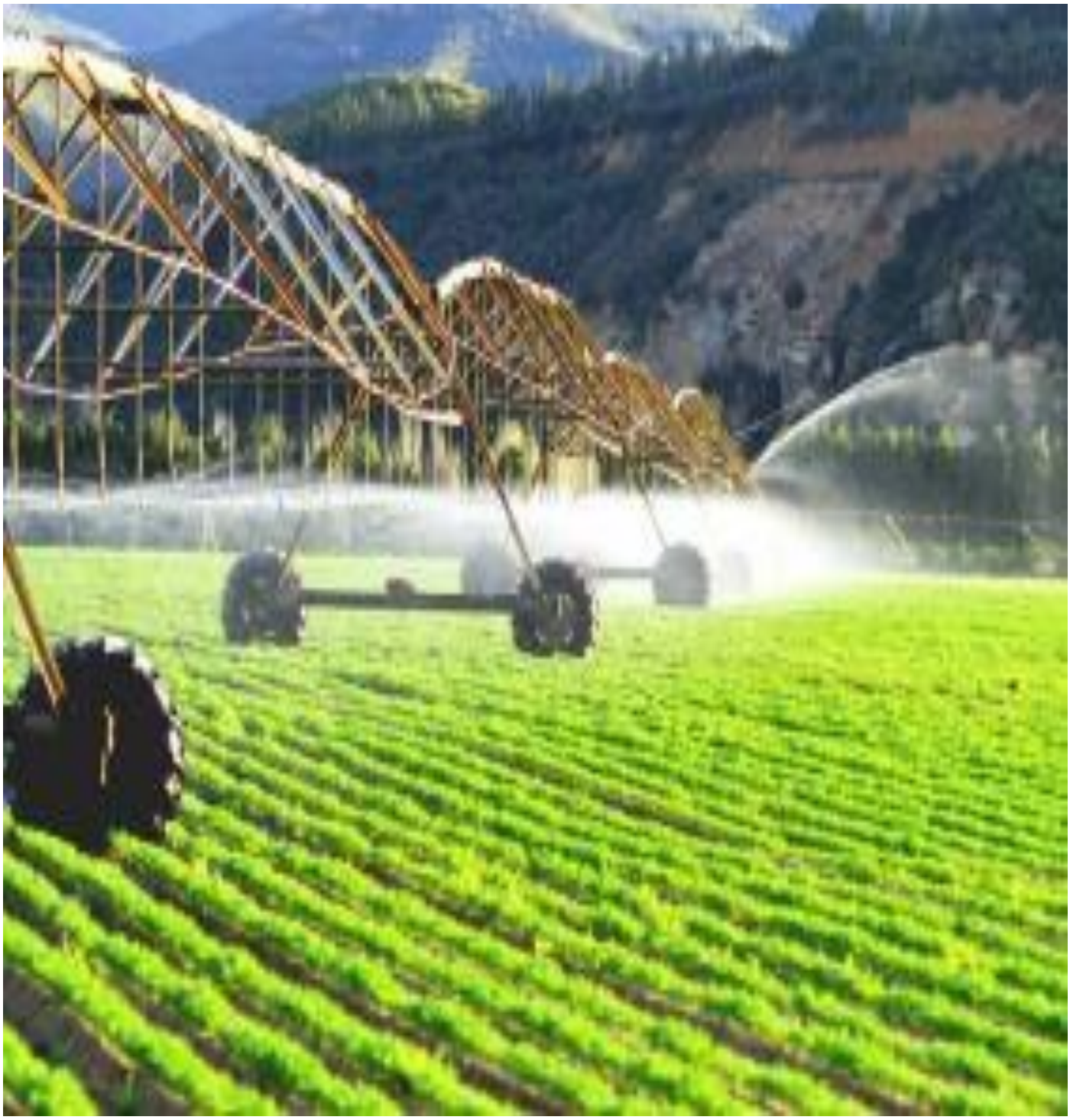

العنوان: صورة توضيحية للزراعة في تلمسان

ب ـ التجارة:

تعدّ تلمسان قطب رحى التّجارة في المتوسط، ونـافذة الاقتصاد بإفريقيـا، ومحور الموقع الإستراتيجـي، الذّي يربط الشرق بالغرب والشمال بالجنوب، فهي ملتقى الطرق التّجارية الهامّة، ومحطة تعجّ بالقوافل التّي تتوافد إليها من كلّ جهة، فهي بؤرة الحياة الاقتصادية، فتلمسان أصبحت جسرا تجاريا بين أسواق صحراء الجنوب.

يقول صاحب نفح الطيب:« وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السّلع، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر» .[27]

فكانت القوافل تشدّ الرّحال ذهابا وإيابا إلى مختلف بلدان الساحل الإفريقي وبلدان شمال إفريقيا.

يقول الدكتور "**عبد الحميد حاجيات**":«...بقيت تلمسان تتمتع برواجـها الاقتصادي، والقوافل لم تزل غادية رائحة كعادتها [...] وأنّ سكان تلمسان كانوا أكثر الناس ثروة...» [28]، ولا تزال إلى اليوم من أغنى المدن الجزائرية، وهي رأس خط الاقتصاد والتبادل التّجاري، فيها تتلاقح مختلف القوافل التّي تستورد وتصدّر السلع والبضائع، وهي تعدّ من أكبر أسواق السلاح، فهو المفضّل عند معظم التّجار.

وهذا ما أكسب أهلها الثّراء، وجني أموال طائلة، تدر عليهم الدخل الوفير، وتغدق على أبناء الزيانيين حياة التّرف ورفاهية العيش، يقول " **ليون الإفريقـي**":

«... تجّار تلمسان، ذووا مال، وميسوروا الحال، العـدل عندهم من شيم الرجال، والولاء والأمانة في تعاملهم من أبرز الخصال ...» .[29]

لقد اشتهر تجّار تلمسان منذ أقدم العصور، بأخلاقهم الحسنة من ذمة وأمانة، إضافة إلى الشّهامة والولاء وحسن المعاملة.

---

[27] علي بوزيزة: **ابن خميس التلمساني**، ص10.

[28] عبد الحميد حاجيات: **أبو حمو موسى الزياني**، ص76.

[29] زكي بوزيد: **جزائر الأزل المواقع المدرجة ضمن التراث العالمي**، ص196.

جـ ـ العمران:

لقد عرفت حياة العمران في فترة بني عبد الواد ازدهارا ونضوجا كبيرين، لكن سرعان ماجثم عليها الدهر، واندثرت بين أزقّة وأروقة التّاريخ، وأصبحت مجرد أطلال أكل منها الدّهر وشرب، دفنت تحت الرّمال والأتربة، واقفة تنتظر من يزيل عنها عباءة النّسيان ويلبسها بردة الأصالة التّي تبعث منها رائحة وعبق التّراب المتجذّر في المخيال الشّعبي الجزائري، يقول "**ابن خلدون**":

«... لم يزل عمران تلمسان يتزايد ، وخطتها الصروح إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم، وكرسيا لسلطانهم، فاختلطوا بها القصور المؤنّقة، والمنازل الجميلة ...» [30]،

فقد كان للزيانيين فضلا كبيرا في تطوّر العمران والتشييد والبناء، لأن السلاطين كانوا يستقدمون مهرة البنّائين، ليزيّنوا القصور والمساجد والأضرحة، وقام "**يغمراسن**" بتحصينها إذ دعّم« تلمسان ببناء كشوطة، وما يليها من أبراج وأسوار...» .[31]

بنى الجامع الأعظم بتاجرارت، ومئذنة جامع أجادير، ومسجد أبي الحسن، فقد زادوا تلمسان بهاء وجمالا، وشكّلوا النّموذج الرّاقي للفن والمعمار" العبد الوادي " بامتياز، فهي عبارة عن دُرر متلاحمة مع بعضها لتتشكّل لؤلؤة الغرب الجزائري.

أمّا أبو حمو موسى الأول، فقد شجّع العلم، حيث بنى أوّل مدرسة بتلمسان، وكانت الفريدة من نوعها في المغرب الأوسط.

تعدّ فترة حكم أبا تشفين مميّزة، لأنّ العمران بلغ فيها أوجّ رقيّه، وكيف لا وولي عهدها رجل مذواق للفن، محبّ للتّصاميم وجمال الأشكال التّي تتراقص في جدران وقبب قصوره، فالحياة الفنّية أزهرت في أيّام اعتلائه لعرش الزيانيين، ومن بين الآثار التّي اشتهر بها السلطان أبا تشفين« ثلاثة هي : دار الملك ، ودار السّرور ، وأبو فهر »[32]، فهذه القصور الثلاثة ، نماذج للهندسة المعمارية الفذّة، ورونق الحياة الثقافية التّي تجمع بذور التّحضر، ونماذج أودع فيها أروع الزّخارف التّي نحتتها أنامل الأندلسيين، بدون أن ننسى المدرسة التّاشفينية التّي بناها في عهده.

---

[30]محمد الصالح الصديق: **يومان في تلمسان**، ص27.

[31]عبد الحميد حاجيات: **أبو حمو موسى الزياني**، ص59.

[32]المرجع نفسه، ص61.

رغم الغزو المريني لتلمسان، والحصار الذّي فرضوه عليها، وعاثوا فيها فسادا، فقد طمسوا جميع معالم العمران فيها، إلاّ أنّهم قاموا ببناء مدينة المنصورة، وهي من المواقع المدرجة ضمن التّراث العالمي، هي تحفة فنيّة في الذّوق الفطري السّليم، الذّي يخلو من الشّوائب، وصورة فوتوغرافية في الخيال المجنّح، والإبداع منقطع النّظير، وبهاء الزّخرف التّي تحمله في ثنايا جدرانها وقلاعها، لذلك هي قطعة تراث تفيض رقّة وتتسلّل خلسة إلى خلجات الفؤاد.

وأمّا أبو حمو موسى الثّاني فتنحصر آثاره المعمارية في ضريح الولي إبراهيم المصمودي، يقول الدكتور "**عبد الحميد حاجيات**" :«... نستنتج أنّ أهمّ مبنى أنجز في عهد أبي حمو الثّاني إزاء الضّريح هو المدرسة التّي أشاد المؤرخون بذكر جمالها...» [33]، لكن هذه المدرسة محيت آثارها عن الوجود، نظرا للأوضاع السياسية السّائدة آنذاك، من حروب ومعارك، فطمست معالمها تماما واندثرت، واستؤصلت حروف جدرانها من صفحات الزمن.

[33] المرجع السابق، ص182.

رقم 07:

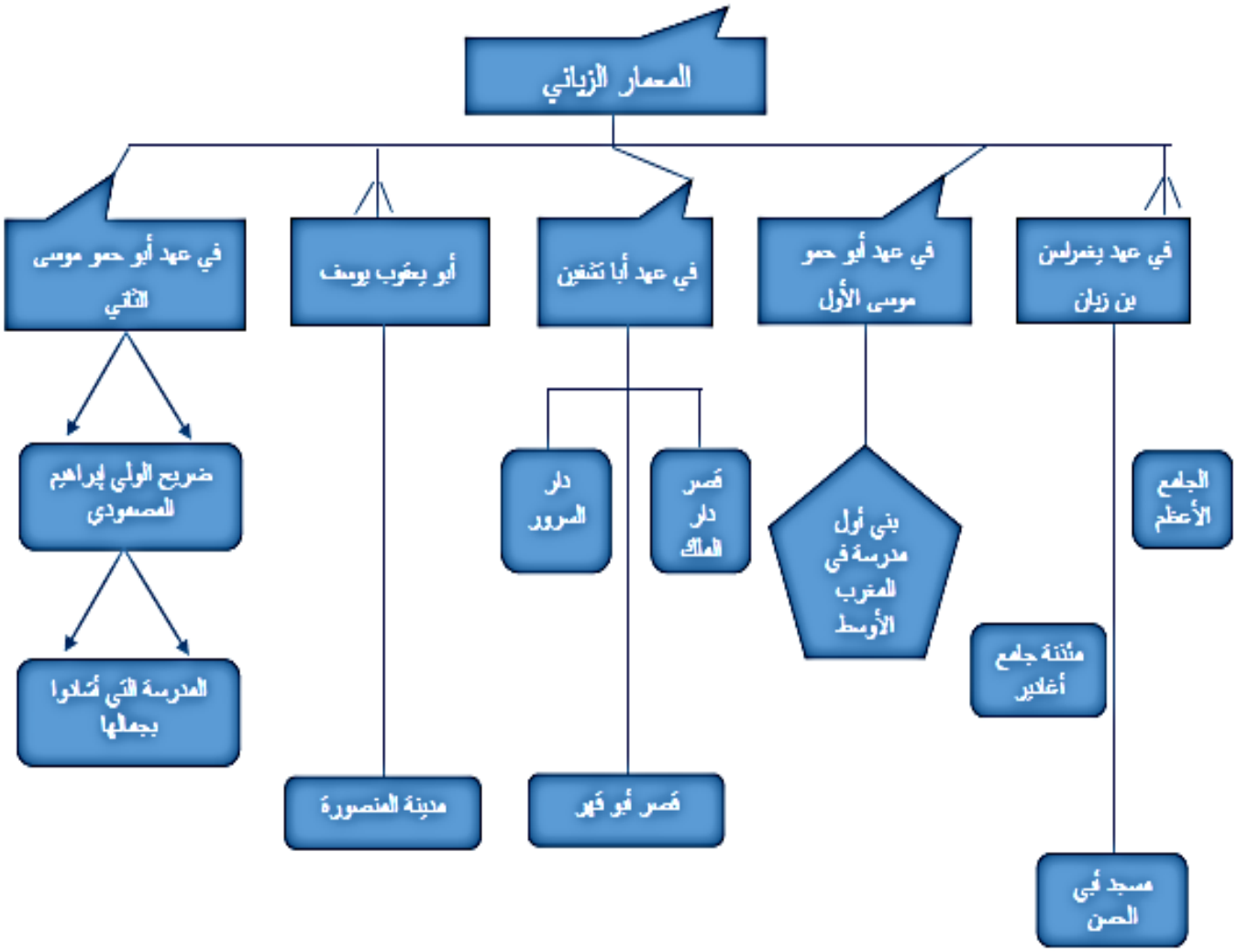

* السلطان المريني الذي قام بفرض حصار على تلمسان وخلال هذا الحصار قام ببناء مدينة المنصورة.

العنوان: مخطط توضيحي لأهم المعالم الأثرية في تلمسان

الفصل الثاني

– تلمسان في الشعر العربي القديم في فترة بني عبد الواد

أولا: تلمسان الحاضرة العمرانية

ثانيا: تلمسان الحاضرة الطبيعية

ثالثا: تلمسان الحاضرة الأخلاقية

تلمسان في الشعر العربي القديم:

كان للشعراء العرب قديما ارتباط وثيق بالمكان، فتعددت صور التعبير عنه، فتجلت لديهم ظاهرة البكاء على الأطلال والشعر الوجداني المعروف قديما بالحنين إلى الأوطان والديار والأهل والخلان، ورثاء المدن والممالك إبان الفتن والحروب في شعر مابعد الإسلام، ولاسيما الحواضر الكبرى التي تمثل بطاقة هوية لتاريخ الشعوب، وعمق حضاري يتلاحم مع نفسية الشاعر وذاته.

إنّ معظم الحواضر الإسلامية في المغرب العربي هي نماذج حضارية تبلورت ملامحها في الرقي والازدهار، فهي مرايا عاكسة للتاريخ والحضارة العربية الإسلامية، لذلك ينبغي معايشة المدن وجس النبض عن بعد، وهنا يبرز دور الشاعر من خلال الكفاءة والبراعة الفنية التي ينسجها في نصه الإبداعي، فهو كآلة الزمن يختزل آلاف التجارب الإنسانية في مربع أسطر الورق.

اقترن النضج الشعري بالمدينة في شقين أساسين هما:

ذكر المدينة ووصفها من جهة واستحضار التاريخ واستدعائه في الإبداعات الأدبية من جهة أخرى، كون التاريخ متجذر في مخيال الشعب وذاكرة الأمة، أما وصف المدينة يتجلى بشكل لافت في الظاهرة المادية الخارجية للطبيعة والعمران، فالشاعر أسرته الطبيعة بجمالها الأخاذ وسحرها الخلاب فهي ملاذ الشاعر ومنبعا لخياله وزادا لشعره، بينما نتحسس في تصويره لمعالم العمران المتمثلة في القصور والأسوار، الأزقة، المتنزهات، المدارس والمساجد ومختلف الآثار المعمارية، التي تروي المآثر والأمجاد لإحيائها لينفتح النص على القراءات المتعددة، فبهذا يقوم الشاعر باستحضار المعمار من الماضي في إبداعاته وإلباسه ثوب الشعرية، الذي يسمى بالمتن الإحيائي.

تلمسان هي حاضرة من حواضر التاريخ الإسلامي، وكبرى عواصم العلم في المغرب الأوسط، لذلك أولى الشعراء بها اهتماما أكثر من غيرها، فهي عصارة التجربة الحضارية الإسلامية العربية، التي ترسخت في الوعي الباطني للشاعر لتنعكس في الواقع وتكشف عن مدى أهمية هذه المدينة في عمق الرؤية الشعرية له، من خلال إعادة بعثها في الجانب العمراني والطبيعي والأخلاقي.

رقم 08:

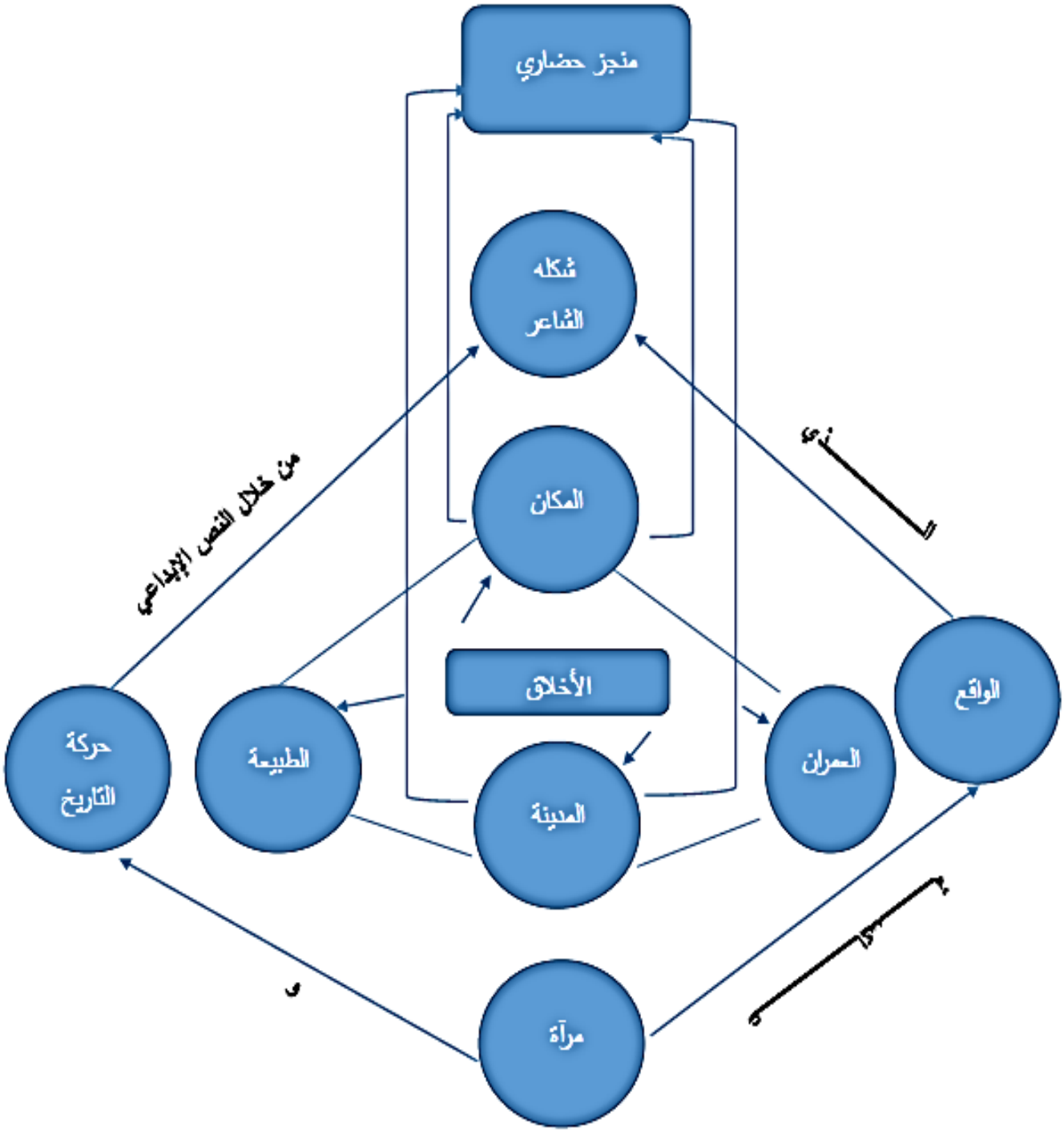

العنوان : مخطط توضيحي للمدينة في النصوص الإبداعية

أولا: تلمسان الحاضرة العمرانية:

المعمار في تلمسان تحفة فنية تحاكي الذوق الرفيع والعالي الجودة لبُناتها من المسلمين، يعبر عن مدى تذوق ملوكها وسلاطينها للفن، ومدى انسجام الدين الإسلامي مع التقدم الحضاري والتطور العمراني، ولكن مع مرور الوقت وتعاقب السنين اندثرت بين أروقة وأزقة التاريخ التي اختفت معالمها وعفت رسومها، ولم يبق منها إلاّ جزء لايذكر من هذه الآثار التي تشهد على عظمة هذه المدينة التي صمدت في وجه أغنى الدول أنذاك، والذي وظفه الشعراء في أشعارهم.

تعددت صور احتضان الشعراء لعاصمة العبد الواديين فهناك من تناولها كحاضنة عمرانية نسجت بأنامل مهندسين ذووا مهارة في الزخرفة والعمران، لتصبح تلمسان بروتوكول فذّ في الزخارف ونموذج فريد في الهندسة المعمارية والتفنن فيها.

رقم 09:

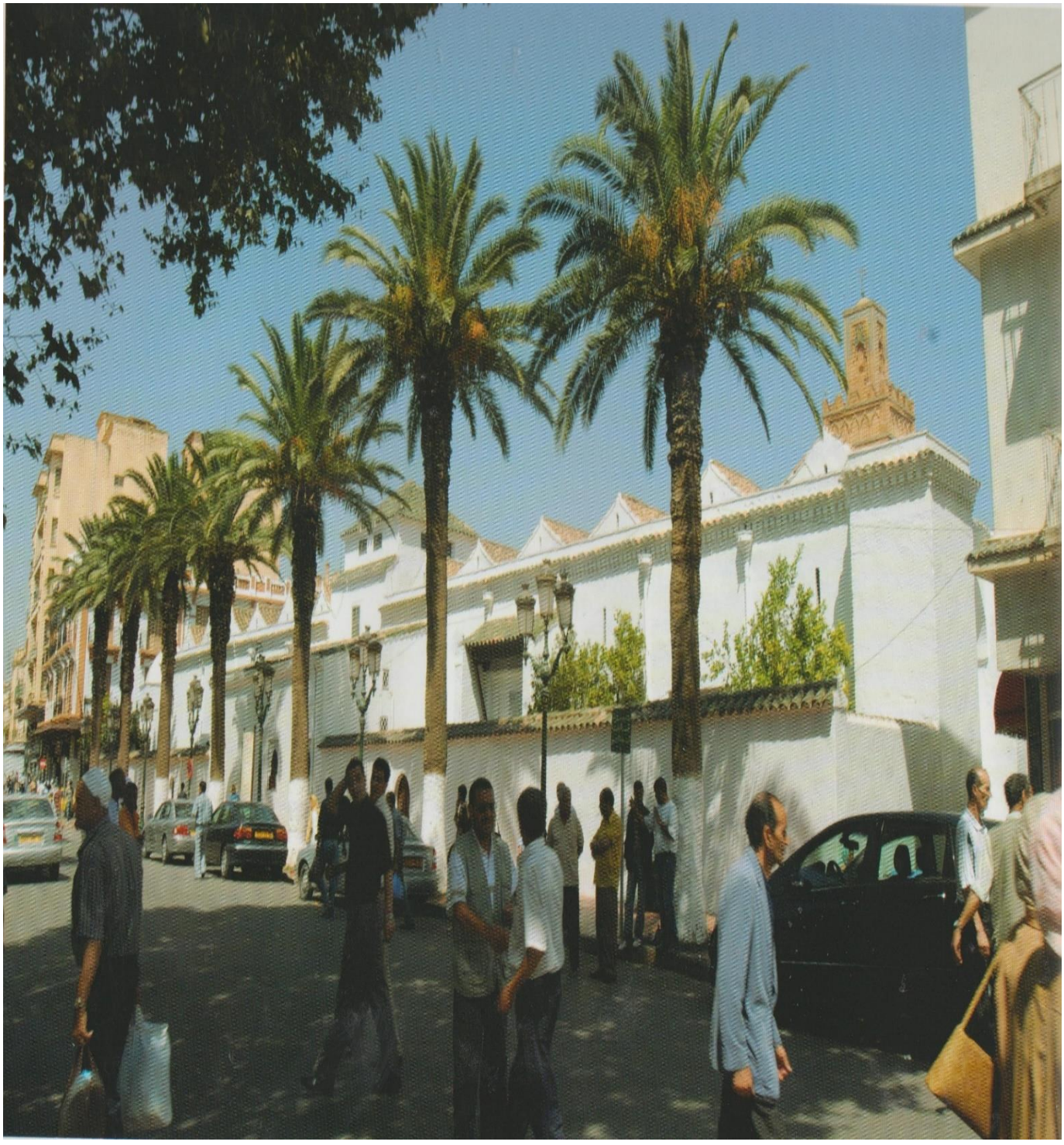

العنوان: صورة منظر عام للجامع الكبير بتلمسان

أ ـ المساجد:

كانت المساجد مترسبة في ذاكرة المدينة التلمسانية، وهي تعتبر مكان حي بالنسبة للمسلمين في فترة بني عبد الواد، باعتبار تلمسان هي كبرى الحواضر الإسلامية العربية، يقول "**أبو عبد الله الشوذي**": من الوافر

إِذَا نَطَقَ الوُجُودُ أَصَاخَ قَوْمٌ بِآذَانٍ إِلَى نُطْقِ الوُجُودِ

وَذَاكَ النُّطْقُ لَيْسَ لَهُ انْعِجَامٌ وَلَكِنْ دَقَّ عَنْ فَهْمِ البَلِيدِ

فَكُنْ فَطِنًا تُنَادَى مِنْ قَرِيبٍ وَلاَ تَكُ مَنْ يُنَادَى مِنْ بَعِيدِ [34]

من خلال هذه الأبيات الرمزية نرى أن الشاعر يتكلم عن الجامع الكبير بتلمسان ونرى أنه يحثنا ويدعونا إلى إعادة استقراء التاريخ والالتزام به، يعني استقراء السنة النبوية والقرآن الكريم ودين الإسلام، فهو يحثنا على الصلاة ويحاول إصلاح الناس، من خلال دعوة الآذان لهم لإقامة الصلاة في وقتها، وخاصة صلاة الفجر التي يغفل عنها كثير من الناس، والشاعر من العلماء الصوفيين، فهو يعتبر الصلاة بطاقة هوية للمسلمين.

[34] الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2011، ج2، ص128م.

ونرى الشاعر أيضا يدعونا إلى استحضار التاريخ الإسلامي، ومدى أهمية الجامع الكبير في حياة السلاطين أمثال يغمراسن، فقد كان يسمع الدروس التي يلقيها الشيوخ على الطلبة وقراءة القرآن.

هذا الجامع الكبير يتغنى به الشاعر كالبلبل الصداح، فهو يذكره بمساجد مدينته ومسقط رأسه إشبيلية، فنرى هنا أنّ الجامع الكبير يمثل الواقع الحسي، فمن خلاله يبني جسرا إلى ذكرياته، فبناء المسجد ونقوشه مستمد من الهندسة المعمارية العربية القديمة الأندلسية مما أعطاه تشابها.

وأيضا الجامع الكبير لديه خلفية تاريخية مهمة فقد كانت تقام فيه صلاة الجمعة وصلاة العيدين، فهذا الجامع أعاد لتلمسان مكانتها الدينية، فقد كانت المساجد في السابق عامرة في الصلوات الخمس ومليئة بتقوى الله لتستعيد ذلك مجددا.

رقم 10:

العنوان: صورة منظر داخلي لمدرسة العباد بتلمسان

ب ـ المباني:

تزخر عاصمة الزيانيين تلمسان بمباني ذات طابع خاص، يميزها عن غيرها من الحواضر العربية والإسلامية، فهي قبلة للهندسة المعمارية الفذة الفريدة من نوعها في المغرب الأوسط، هذا ما جعلها لوحة فنية مأخوذة من عمق الزمن، يقول "**محمد بن يوسف القيسي**": من الخفيف

وَبُرُوجٍ مُشَيَّدَاتُ المَبَانِي بَادِيَاتُ السَّنَى كَشَهْبٍ بِوَادِي[35]

نلاحظ من خلال هذا البيت الشعري، أنّ الشاعر يتغنى بمباني تلمسان بشاعرية فياضة نسجها في نصه الإبداعي، فهو يختزل التاريخ في بيت شعري، فقد أسره المعمار في تلمسان الذي يروي المآثر والأمجاد، كيف لا وهذه المدينة صمدت في عدة حصارات فُرضت على بني عبد الواد وظلت شامخة تحت قصف وضربات المرينيين المتكررة على تلمسان، فهي تروي صمود شعب في وجه الحروب والمعارك الضارية، لذلك يصفها وكأنها شهب بوادي رغم الحروب والخراب الذي حل بها إلا أن هذه المباني لم تفقد بريقها ووهجها و كأنها شهب ترى من بعيد من شدة لمعان هندستها المتقنة الصنع وطولها الذي يرى من بعيد.

[35] المرجع السابق، ص138.

ج ـ المدارس:

لمّا اعتلى أبو تشفين العرش العبد الوادي وتولى أمور الدولة، كان سلطانا ماهرا محبا للفن فقد أمر ببناء الدور والمساجد والمصانع والمباني، فلم تمنعه أمور الدولة السياسية والتي كانت تحتقن بينه وبين خصومه من الاهتمام بالعمارة والفن، وترك ثروة معمارية لم يخلفها أحد من قبله، ومن بين الآثار التي خلدها المدرسة التي بناها في عهده، وكانت تعرف بالمدرسة التاشفينية، يقول الشيخ "**مبارك الميلي**": من الكامل

أُنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ بَهْجَتِي وَسَنَائِي وَبَدِيعَ إِتْقَانِي وَحُسْنَ بِنَائِي

وَبَدِيعَ شَكْلِي وَاعْتَبِرْ فِيمَا تَرَى مِنْ نَشْأَتِي بَلْ مِنْ تَدَفُّقِ مَائِي [36]

نلاحظ من خلال الأبيات أن الشاعر يشيد بالمدرسة التي بناها أبو تشفين في عهده، وكانت إحدى عجائب الدنيا التي بقيت محافظة على معالمها وستظل لوحة شعرية خالدة لدى الشعراء، وستبقى آثارها مترسبة في ذاكرة الحاضرة العربية الإسلامية تلمسان.

والشاعر يتكلم عن المدرسة التاشفينية ، وكأنه يقوم باستنطاقها لتعبر عن مدى عراقتها وأصالتها وبنائها المتقن وشكلها الجميل، فهي مرآة عاكسة للتاريخ الذي شهدته هذه المدينة ، وهي مكتوبة في طيات الذاكرة التاريخية الجماعية ، إضافة إلى أن الشاعر يقوم بالتشخيص، فهو يجعل من هذه المدرسة المصنوعة من مواد البناء كالإسمنت والحجارة ، وهي أشياء جامدة خالية من المشاعر والأحاسيس، في حين أن الشاعر يجعل منها إنسان حي ينآى ويتكلم ليعبر عن قيمته الحضارية والتاريخية والعمرانية والعلمية في العصر الذهبي لدولة بني عبد الواد الزيانية ، وهذه المكانة التي اكتسبتها اقتادتها لتتربع على عرش الريادة لتنافس أهم العواصم الإسلامية كـ **فاس** و**غرناطة** و**بني مرين** و**بني حفص** وغيرها.

---

[36] الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2011م، ج1، ص 75.

د ـ الأبواب:

كان لتلمسان حصون وأسوار قاموا ببنائها لحماية المدينة من بطش الأعداء، وكانت لها أبواب من بينها باب **الجياد**، باب **الرجاء**، باب **الحديد**، باب **كشّوطة**، يقول "**أبو عبد الله بن يوسف القيسي**": من الكامل

عَرَجٌ بِمُنْعَرَجَاتٍ بَابٌ جِيَادُهَا* وَافْتَحْ بِهِ بَابَ الرَّجَاءِ* المُقْبِلِ [37]

ويقول أيضا:

فَإِذَا دَنَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ لِغُرْبِهَا فَإِلَى تِلِمْسَانُ الْأَصِيلَةُ فَأَدْخُلُ

مِنْ بَابِ مَلْعَبِهَا لِبَابِ حَدِيدِهَا* مُتَنَزِّهًا فِي كُلِّ حَفْلٍ أَحْفَلُ [38]

الشاعر يصف أبواب تلمسان القديمة، التي سلمت من خطر الغارات بفضل مناعتها، وأصبح يتوافد إليها الشعراء ليكتسبوا الوعي التاريخي، ويتشبعوا بالثقافة والبطولات، وتصبح اللغة وسيلة للواقع، والشعر هو أداة من أدوات كتابة التاريخ ، والخيال هو البهو الذي ينساب إلى الذكريات ليقتطف التراكمات التاريخية المليئة بالعراقة والأصالة ، ويصبح هناك استهلاك للماضي لرسم اللوحة الحضارية، والشاعر يريد أن ينبهنا من خلال وصفه لمعمار تلمسان، هو أنّ المعمار في هذه المدينة قطع أشواطا كثيرة ليصل إلى هذا المستوى لتشهد على متانة الفن العبد الوادي وقوته ومهارة البنائين وكفاءتهم العالية.

---

* باب الجياد والرجاء: بابان من أبواب تلمسان القديمة.

[37] المرجع السابق، ص 126.

* باب الحديد: باب من أبواب تلمسان القديمة.

[38] المرجع السابق، ص 163.

رقم 11:

العنوان: مدخل ضريح سيدي بومدين بتلمسان

هـ ــ المتنزهات:

تحوي لؤلؤة الغرب الجزائري على متنزهات عديدة ولا سيما في العهد الزياني، وهي كانت قبلة يقصدها سكان المدينة للترفيه والتسلية، والاستمتاع بطبيعتها ذات الشاعرية الفياضة والهواء المنعش، لأن الطبيعة دوما هي المتنفس الذي يهرب إليه الإنسان من ضوضاء المدينة وازدحامها مثل: " **متنزه ساقية الرومي** "، و " **كدية العشاق** "، ويعتبر من أجمل متنزهات تلمسان، يقول عنها الشاعر "**ابن خميس**": من الكامل

وَلَسَاقِيَةُ الرُّومِي*عِنْدِي مَزِيَّةٌ وَإِنْ رَغِمْتُ تِلْكَ الرَّوَابِي الرَّوَاشِحُ [39]

ويقول "**محمد القيسي**": من الكامل

وَبِرَبْوَةِ العُشَّاقِ* سَلْوَةُ عَاشِقٍ فَتَتَتْهُ أَلْحَاظُ الغَزَالِ الْأَكْحَلِ [40]

ومن بين هذه المتنزهات، نجد المتنزه الأكثر استقطابا للناس، وهو" **متنزه الملعب الكبير**"، الذي كانت تتسابق فيه الخيول، يقول فيه "**محمد القيسي**": من الكامل

وَبِمَلْعَبِ الْخَيْلِ* الْفَسِيحِ مَجَالُهُ أَجْلَى النَّوَاظِرُ فِي عِتَاقِ الْمَحْفَلِ

فَبِحَلْبَةِ الْأَفْرَاسِ* كُلَّ عَشِيَّةٍ لَعِبٌ بِذَاكَ الْمَلْعَبِ الْمُسْتَسْهَلِ

فَتَرَى الْمَجْلَى وَالْمُصَلَّى خَلْفَهُ وَكِلاَهُمَا فِي حُرِيَّةٍ لاَ يُأْتَلِي

هَذَا يَكُرُّ وَذَا يَفِرُّ فَتَثْنِي عِطَافًا عَلَى الثَّانِي عِنَانَ الْأَوَّلِ

فِي كُلِّ طَرَفٍ كُلَّ طَرْفٍ يَسْتَبِي قَيْدَ النَّوَاظِرِ فِتْنَةَ الْمُتَأَمِّلِ [41]

---

* أحد المتنزهات الموجودة في تلمسان قديما.

[39] عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2002م، ج1، ص153.

* أحد متنزهات تلمسان.

[40] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

* اسم يطلق على الفرس الثاني في السباق.

* أحد الأماكن التي تقام فيها سباقات الخيول في تلمسان قديما.

[41] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

يذكر الشاعر ملعب الخيل، الذي كانت تقام فيه استعراضات عسكرية للخيول، قبل خروجهم إلى ساحات الوغى مع الجيش، فيحضر كوكبة من ضيوف السلطان من كل بقاع رقعة الدولة والدول الأخرى، فهذا المتنزه وما يحمله من تراكمات تاريخية لاستهلاكها ويقوم الشاعر بعكس هذه التراكمات التي ترسبت في طيات تاريخ تلمسان المليء بالانتصارات والمأساة من الحروب والمعارك والحصار الذي حل بهذه المدينة في نصوصه الإبداعية، فهنا يتجلى علاقة الشاعر بهذه الأماكن الحضارية، فهو يحاكي تاريخ واقعي بأبعاد فنية ليشكل لوحة حضارية.

ثانيا: تلمسان الحاضرة الطبيعية:

لتلمسان طبيعة ذات جمال أخّاذ بغاباتها الكثيفة الخضراء، ووديانها دائمة الجريان، وشلالاتها المنسابة بين الصخور، وجوّها الهادئ الذي يشفي النفس من الهموم، لذلك فهي المكان الذي يحيي روح الشاعر من جديد لارتباطها الوثيق بالتاريخ كمستقبل للماضي، يقول "**أبو حمو موسى الثاني**": من الطويل

عَلَوْنَا عَلَى الصَفْصِيفِ* وَاشْتَدَّ بَيْنَنَا حُرُوبٌ تَشِيبُ الرَّأْسَ قَبْلَ الْفَطَائِمِ [42]

نلاحظ أن الشاعر من خلال هذه الأبيات يذكر " **الصّفصيف** " وهو أحد أودية تلمسان، فنجد الأودية والبحر والجبال تنضوي في حقل واحد وهو الطبيعة، ويختلف حضورها وكثافتها وفق القيمة التاريخية للمكان وما يحمله من أهمية ثورية ووطنية وعربية وإسلامية.

تلمسان مدينة النضال والكفاح المستمرين لعدة سنوات مضت من حركات المقاومة التي لم تنطفئ نارها أبدا، وظلّ " **واد الصّفصيف** " المكان الذي يحمل في ثناياه أعمق الهواجس والأحلام، كيف لا وهو كان شاهد على حروب ضروس، ومعارك ضارية دارت رحاها بين الأعداء، فهو مستودع لأروع التجارب والأحداث، يرمي الشاعر بدلوه ليغترف من بئر التجربة الشعرية.

نرى أن أبو حمو موسى الثاني قد صرح باسم الوادي، في حين أن شعراء آخرين لا يصرحون باسم الوادي، بل القارئ من خلال ثقافته آليا يتعرف عليه، يقول "**ابن خميس**": من الطويل

تِلِمْسَانُ جَادَتْكِ السَّحَابُ الرَّوَائِحُ وَأَرْسَتْ بَوَادِيكِ الرِّيَاحُ اللَّوَاقِحُ [43]

يعني الشاعر بالوادي " **واد الصّفصيف** "، ودائما كان هذا الوادي الملهم الأساسي للشعراء بسبب موقعه الاستراتيجي، الذي يستدير بقبليها وشرقيها، الذي فجر قرائحهم الشعرية، لما يملكه من إطلالة جميلة، والهواء والنسيم المنعش الذي يرسلهما إليه البحر، وهو محفوف بالأشجار الكثيفة والمياه الكثيرة التي شكلت حصنا حديديا في وجه الرومان الذين قدموا لغزو المدينة أنداك.

---

* واد موجود بتلمسان.

[42] محمد الطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، ص 259.

[43] رشيد مصطفى: "خاص عن تاريخ تلمسان وحضارتها"، **مجلة الأصالة**، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية، أوت، 1975– 1395، ص353.

وفي أبيات نظمها الشاعر أبي عبد الله محمد بن يوسف القيسي يصف فيها جمال طبيعة تلمسان التي استهوتهم، بل قدموا إليها من أصقاع العالم ليتفننوا في رسم لوحات شعرية بلغة الأماكن الطبيعة، يقول: من الكامل

وَأَقْصُدُ بِيَوْمٍ ثَالِثُ فَوَّارَةٍ* وَبِعَذْبِ مَنْهَلِهَا المُبَارَكِ فَانْهَلِ

تَجْرِي فِي دُرٍّ لَجِينٍ سَائِلٍ أَحْلَى وَأَعْذَبُ مِنْ رَحِيقِ سَلْسَلِ

وَأُشْرِفُ عَلَى الشَّرَفِ الذِّي بِإِزَائِهَا لِتَرَى تِلِمْسَانُ العَلِيَّةُ مِنْ عَلِ[44]

يتحدث الشاعر عن "**فوارة تلمسان**" التي تتدفق من أعلى هضبة تدعى هضبة "**لالة ستي**"، التي كانت تسقي أهل المدينة، وكانت عين غزيرة والتي التحم بها الشاعر واتخذها كتجربة كيانية عميقة، لتصبح هذه الفوارة جزء من تاريخ الذاكرة الجماعية، فهي قرينة القدسية وذاكرة موروث وإرث حضاري ضارب في القدم.

لقد أقام الشاعر علاقة عاطفية مع الطبيعة لأنها كانت تشكل له متنفس لهمومه، وهي عالم بديل للواقع الذي يعيشه الشاعر، فقد إرتمى في أحضان الطبيعة لأنها تشكل له العالم المثالي الخالي من التعقيدات، فيحس بالروحانية مايشبه الوحدة الصوفية، فهي رمز للصفاء والنقاء بعيدا عن المدن التي عكّر صفوها الغزاة بنعالهم، وفي نفس الوقت يسترجع شريط التاريخ الزاخر بالأمجاد والبطولات والانتصارات، يعني التحام الشعر بالطبيعة والتاريخ اللذان تحميهما ذاكرة المكان.

* الفوارة: تقع بتلمسان ومائها عذب يشبه الفضة في الصفاء.

[44] الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج1، ص31.

ثالثا: تلمسان الحاضرة الأخلاقية:

هناك من الدارسين والشعراء من صوروا عاصمة الزيانيين كحاضنة أخلاق، اتخذوها كنموذج جاهز من العادات والتقاليد والمشاكل الاجتماعية السائدة في مجتمع الدولة الزيانية، رغم مظاهر البذخ والترف التي كانت تتمتع بها تلمسان، وهذا لا يمنع من ظهور الفقر وتفشي ظاهرة التسول في أزقة الزيانيين من جهة ومن جهة أخرى فهي عاصمة ثقافية باختلاف الأجناس وعناصرها، فهناك العنصر الأمازيغي (البربري) الذي سكن شمال إفريقيا منذ آلاف السنين، وهناك العنصر العربي الذين فتحوا تلمسان في **القرن السابع للميلاد**، وهناك العنصر العثماني (التركي) والعنصر الأندلسي وقلة من اليهود، فأصبحت تلمسان خليط ومزيج من الثقافات هذا ما أدى إلى تعدد الحقول الثقافية من عادات وتقاليد وأعياد وغيرها، وكل هذا يدخل ضمن سياق أخلاقي.

أ ـ الأخلاق الاجتماعية:

يذكر الشاعر "**إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري**": من البسيط

الْغَدْرُ فِي النَّاسِ شِيمَةٌ سَلَفَتْ قَدْ طَالَ بَيْنَ الْوَرَى تَصَرُّفُهَا
مَا كُلُّ مَنْ سَرَتْ لَـهُ نِعَمٌ مِنْكَ يَرَى قَدْرَهَا ويَعْرِفُهَا
بَلْ رُبَّمَا أَعْقَبَ الْجَزَاءُ بِهَا مَضَرَّةٌ عَنْكَ عَزَّ مَصْرِفُهَا
أَمَا تَرَى الشَّمْسَ تَعْطِفُ بِالنُّورِ عَلَى الْبَدْرِ وَهُوَ يَكْسِفُهَا [45]

الشاعر هنا يتكلم عن صفة كانت لصيقة بالناس في المجتمع وقد لزمت طباعهم ، وهي صفة الغدر، ويذمها كثيرا في هذه الأبيات، بأن الغدر شيمة كانت منذ القدم وليست بظاهرة جديدة، وأن هناك القليل من الناس من الذين يعرفون تقدير الجميل والنعم التي كانت تغدق عليهم من مساعدة وحب وتقدير، فهؤلاء البشر لا يعرفون معنى الوفاء والإخلاص فقلوبهم جُبلت على الغدر، وأحيانا يكون جزاء إحسانك لهم مضرة لك، فشبه هؤلاء البشر بالبدر فرغم أنه يستمد نوره وضياءه من الشمس، فهي دائمة العطاء له، وهو يكسفها وينكر عطفها عليه ، فهكذا بعض الناس.

---

[45] الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج2، ص120.

نستنتج أن رغم كثرة الوازع الديني في الدولة الزيانية، وانتشار المشايخ وإلقائهم للخطب الوعظية والتوعوية إلا أن بعض الناس قلوبهم أُلِفت الفواحش والمنكرات والخداع والغدر، فهذا يبين لنا أن الناس معادن، فهناك الغالي وهناك الرخيص، ويقول الشاعر التلمساني "**ابن خميس**": من الكامل

مِنْ خُلَّبِيَّ* الْوَعْدِ كَذَّابُهُ لَيَّانٌ لاَ يَعْرِفُ غَيْرَ الْمِطَالِ
كَأَنَّهُ الدَّهْرُ وَأَيُّ أمرئ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ إِذَا الدَّهْرُ حَالَ
أَمَا تَرَانِي آخِذًا نَاقِضًا عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنِي مِنْ مَجَالِ
وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ لَهُ عَائِبًا كَمَثَّلِ مَاعَابَتْهُ قَبْلِي رِجَالُ [46]

لاحظ الشاعر ظاهرة لفتت نظرة في المجتمع الزياني وهي الإخلاف بالوعد، فالدهر يغير المرء، فيصبح لا يعرف غير الكذب وأنقاض العهد، رغم أنه ليس مجبر على فعل ذلك، وهذا المرء الذي لا يعرف غير الكذب وإخلاف الوعد والمِطال فكل الناس ستعيبه وتبتعد عنه لسوء أخلاقه، وإذا وعد أخلف وإذا حدّث كذب، فهذا الإنسان لا يحاول الإصلاح من نفسه أبدا.

وفي إحدى المظاهر التي كانت سائدة في مجتمع الحاضرة العربية الإسلامية ظاهرة الفقر، في هذا الموضع يقول الشاعر "**محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي**": من المتدارك

أُشْكُرْ لِرَبِّكَ وَانْتَظِرْ فِي إِثْرِ عُسْرِ الْأَمْرِ يُسْرَا
وَاصْبِرْ لِكُرْبِكَ وَادَّخِرْ فِي سِتْرِ ضَرِّ الْفُقْرِ أَجْرَا
ما الدهر بُعْثِرَ بِالْوَرَى وَالصَّبْرُ بِالْأَحْرَارِ أَحْرَى [47]

وفي هذه الأبيات التي عرضها الشاعر المرسي تفطن إلى انتشار ظاهرة الفقر رغم أن المجتمع الزياني في فترة بني عبد الواد كان مجتمعا إقطاعي ثري، لأن الدولة كانت في أوج قوتها وكانت في عصرها الذهبي، بسبب ما تُدر به الزراعة والتجارة والصناعة على خزينة الدولة، فأصبحت تدرأ عنهم الفاقة والجوع والفقر، وكان الملوك والسلاطين يغدقون بالأموال على رعيتهم، ورغم ملذات الحياة وبهرجها ونعيم الترف الذي كان الزيانيون يعيشون فيه، إلا أن هناك في زاوية منسية على قارعة الحياة تزهر براعم الفقر،

* صفة تطلق على الكذب وإخلاف الوعد.

[46] محمد الطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، ص 224.

[47] حسين تواتي: **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية " الكتابة أنموذجا "**، ص 133.

وكان هناك في رواق الثراء الفاحش يعيش فقراء يصارعون الفقر وشظف العيش، لكسب قوتهم اليومي، فالشاعر أصبح لسان حالهم فيقول اصبروا وفوضوا أمركم لله فإن بعد الشدة والعسر يأتي الرخاء واليسر، فإن في الفقر أجر كيف لا وهم أول الخلق دخول إلى الجنة لحرمانهم في الدنيا من كل شيء، فالإنسان الحر بطبعه صبور.

ويقول "**ابن خميس**" في التنزه عن الدنيا والزهد فيها: من الطويل

تَرَاجَعْ مَعَ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ تَارِكُ وَتَسَالَهَا الْعَتْبَى وَمَاهِي فَارِكُ

تُؤْمِلُ بَعْدَ التَّرْكِ رَجَعَ وِدَادُهَا وَشُرُودًا مَا تُرَدُّ التَّرَائِكُ

...

تَنَزَّهْتُ عَنْهَا نَخْوَةً لاَ زَهَادَةٌ وَشِعْرٌ عَذَارِيٌّ أَسْوَدُ اللَّوْنِ حَالِكُ [48]

هذه أبيات في الانصراف عن الدنيا واللجوء إلى تقوى الله، فهي دعوة عن ترك الدار الفانية والتمسك بالدار الباقية بالعمل الصالح والقيام بالأعمال التي تقربك من مجلس الصحابة وخير الخلق النبي عليه الصلاة والسلام، فلا تغرّنك الحياة الدنيا ببهرجها الزائف الزائل، بل الطاعات والعبادات من تقيك من النار، ففي ترك الدنيا نخوة وشهامة لا زهد كما قال ابن خميس في إقلاعه عن زخرف الحياة الدنيا.

وإذا أردنا أن نتحدث عن احتفال ملوك وسلاطين الدولة الزيانية بالأعياد الدينية، ونخص بالذكر المولد النبوي الشريف فكانوا يقيمون احتفالات غاية في الفخامة والمبالغة والمغالاة وخاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني، كانت ليلة المولد النبوي الشريف في عهده أشبه بالخيال، لذلك المولديات تحتل مكانة كبيرة في شعره، فكانت تعرض القصائد الشعرية في حضرة شفيع الأمة، يقول أحد شعراء البلاط الزياني: من المتدارك

يَاحُسْنُهَا لَيْلَةٌ تَوَلَّتْ بِنَهْرِ فَجْرٍ لَهُ انْفِجَارَ

وَلَمْ تَكُنْ لِتُبْتَلَى لَوْصَدَّ بَاعَهَا النَّهَارَ [49]

---

[48] الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج2، ص 125.

[49] مليكة ضاوي: **المولديات في دولة بني عبد الواد الزيانية " الثغري التلمساني مثالا "**، ص 78.

ب ـ الأخلاق الدينية:

حظي المولد النبوي الشريف في دولة بني عبد الواد باهتمام كبير، فجعلوا له خصوصية دون غيره من الأعياد، هذا ما جعله يكتسي طابع متميز عند الزيانيين دون غيرهم من دول البلاد العربية والإسلامية، لذلك أفرده الدارسون والمؤرخون والشعراء الاهتمام في دراساتهم وأبحاثهم وأشعارهم.

رقم 12:

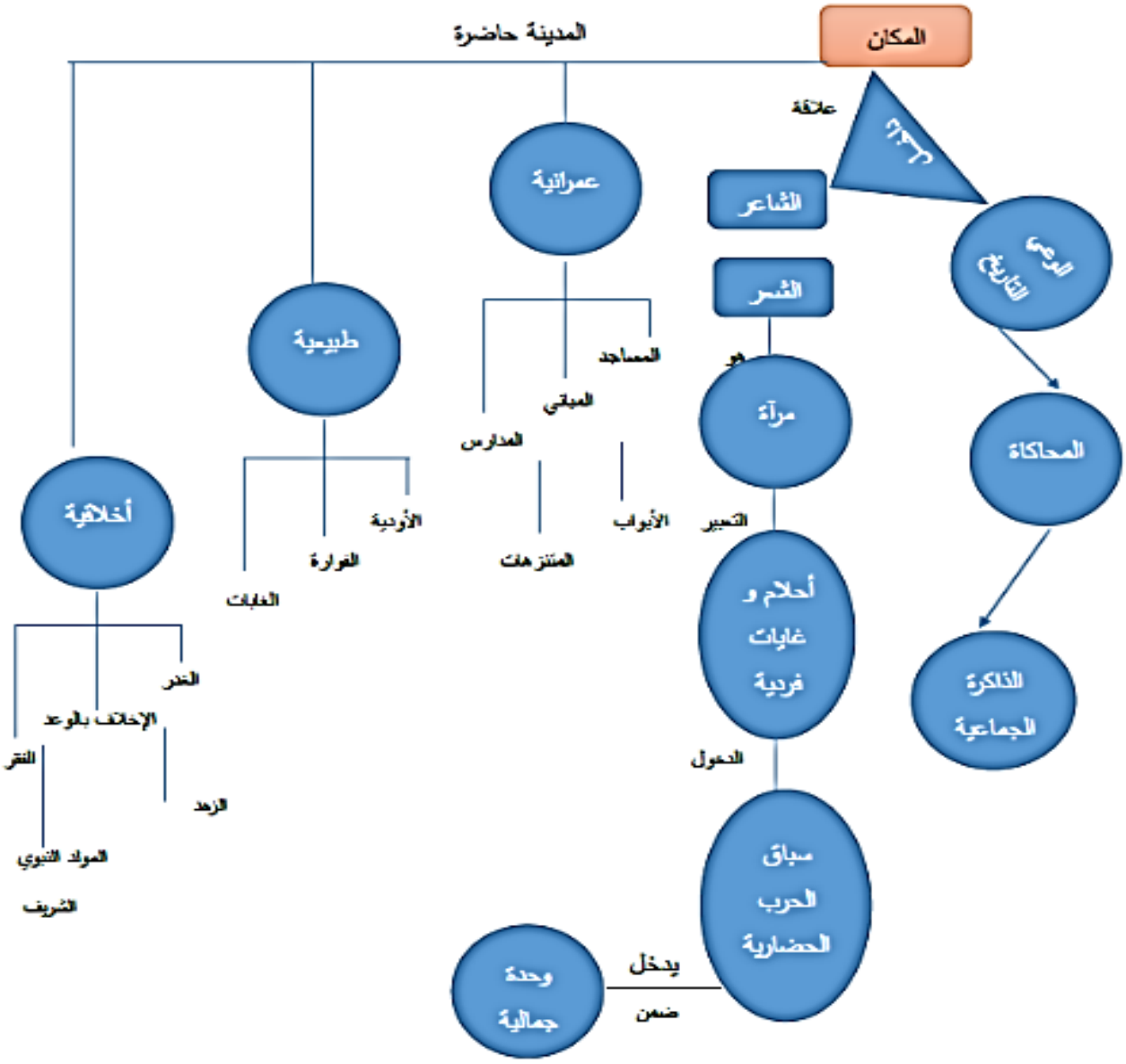

العنوان: مخطط توضيحي لتلمسان في الشعر العربي في فترة بني عبد الواد

خاتـــمة

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى بعض النتائج وهي كالآتي:

- أن لمدينة تلمسان ماضيا تاريخيا هاما اكتسبته من موقعها الجغرافي الممتاز، ومن كونها كانت عاصمة للمغرب الأوسط (الجزائر).
- يرجع المؤرخين والدارسين أن بني عبد الواد ينحدرون من أصل أمازيغي.
- ذكرت بعض كتب التاريخ أن لتلمسان القديمة أسماء (بوماريا، أغادير) وهي مسميات بلغة الأمازيغ أو البربر.
- تلمسان من المدن التي حظيت بعناية الشعراء وكانت الحبل السري الذي فجّر قرائحهم الشعرية فقالوا فيها قصائد رائعة.
- ازدهرت الحياة السياسية والاقتصادية في تلمسان ازدهارا جعلها تنال حظا وافرا من الاهتمام والاعتناء من قبل رجالات الفكر والسياسة والثقافة.
- كانت تلمسان كثيرة العمران في عهد بني عبد الواد، بفضل الرقي والازدهار، لذلك نشط فيها الفن والعمارة وأصبحت تظاهي عواصم الدول الأخرى.
- تعتبر تلمسان حاضرة طبيعية بأطلالها الخلابة وأوديتها الرقراقة وعيونها الدفاقة مما جعلها منهما يحل الشعراء الوافدين إليها.
- المجتمع الزياني خليط من الأجناس والعناصر البشرية المتنوعة بتنوع ثقافاتهم ودياناتهم وهذا ماأفرز بعض المظاهر والتي تنظوي تحت سياق أخلاق المدينة ونخص بالذكر الأخلاق الاجتماعية والأخلاق الدينية.

الفهـــارس

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر:

1) الثغري التلمساني: **ديوان الثغري التلمساني**، تح: نوار بوحلاسة، منشورات مخبر الدراسات التراثية، قسنطينة، دط، 2004م.

2) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، 2002م – 1422هـ، مج 1.

3) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، تح: عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، مج 7.

ثانيا: المراجع:

1) الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2011م، ج 1و2.

2) بوزياني الدراجي: **أدباء وشعراء من تلمسان**، دار الأمل للدراسات، تلمسان، الجزائر، دط، 2011م.

3) حسين التواتي: **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية**، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، دط، 2017م.

4) خالد بلعربي: **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية**، دارالألمعية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011م.

5) زكي بوزيد: **جزائر الأزل المواقع المدرجة ضمن التراث العالمي**،Cps للنشر، فرنسا، دط، 2007م.

6) عبد الحميد حاجيات: **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م.

7) عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر، الجزائر، دط، ج1، 2002م.

8) لخضر سيفر: **التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي**، الأمل للدراسات، دب، دط، 2007م، ج1.

9) محمد الصالح الصديق: **يومان في تلمسان**، دارهومة للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2011م.

10) محمد بن عمرو الطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2006م.

11) ...: **تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984م.

12) مليكة ضاوي: **المولديات في دولة بني عبد الواد الزيانية**، دار على بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2014م.

ثالثا: المجلات:

1) رشيد مصطفى: "خاص عن تاريخ تلمسان وحضارتها"، **مجلة الأصالة**، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية ، أوت 1975م.

رابعا: الرسائل الجامعية:

1) علي بوزيزة: **ابن خميس التلمساني**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2002 – 2003م.

المخططات والصور

رقم المخطط / الصورة	العنـــوان	الصفحة
رقم: 1	مخطط توضيحي لأصل بني عبد الواد	9
رقم: 2	مخطط توضيحي لأسماء تلمسان القديمة	10
رقم: 3	صورة توضيحية لمعركة حصن العقاب	15
رقم: 4	رسم توضيحي لتمفصلات الحالة السياسية في تلمسان من حيث الازدهار والانتكاس	19
رقم: 5	دائرة نسبية لإحصاء قطاع الزراعة	22
رقم: 6	صورة توضيحية للزراعة في تلمسان	23
رقم: 7	مخطط توضيحي لأهم المعالم الأثرية في تلمسان	27
رقم: 8	مخطط توضيحي للمدينة في النصوص الإبداعية	31
رقم: 9	صورة منظر عام للجامع الكبير بتلمسان	32
رقم: 10	صورة منظر داخلي لمدرسة العباد بتلمسان	36
رقم: 11	مدخل ضريح سيدي بومدين بتلمسان	40
رقم: 12	مخطط توضيحي لتلمسان في الشعر العربي في فترة بني عبد الواد	49

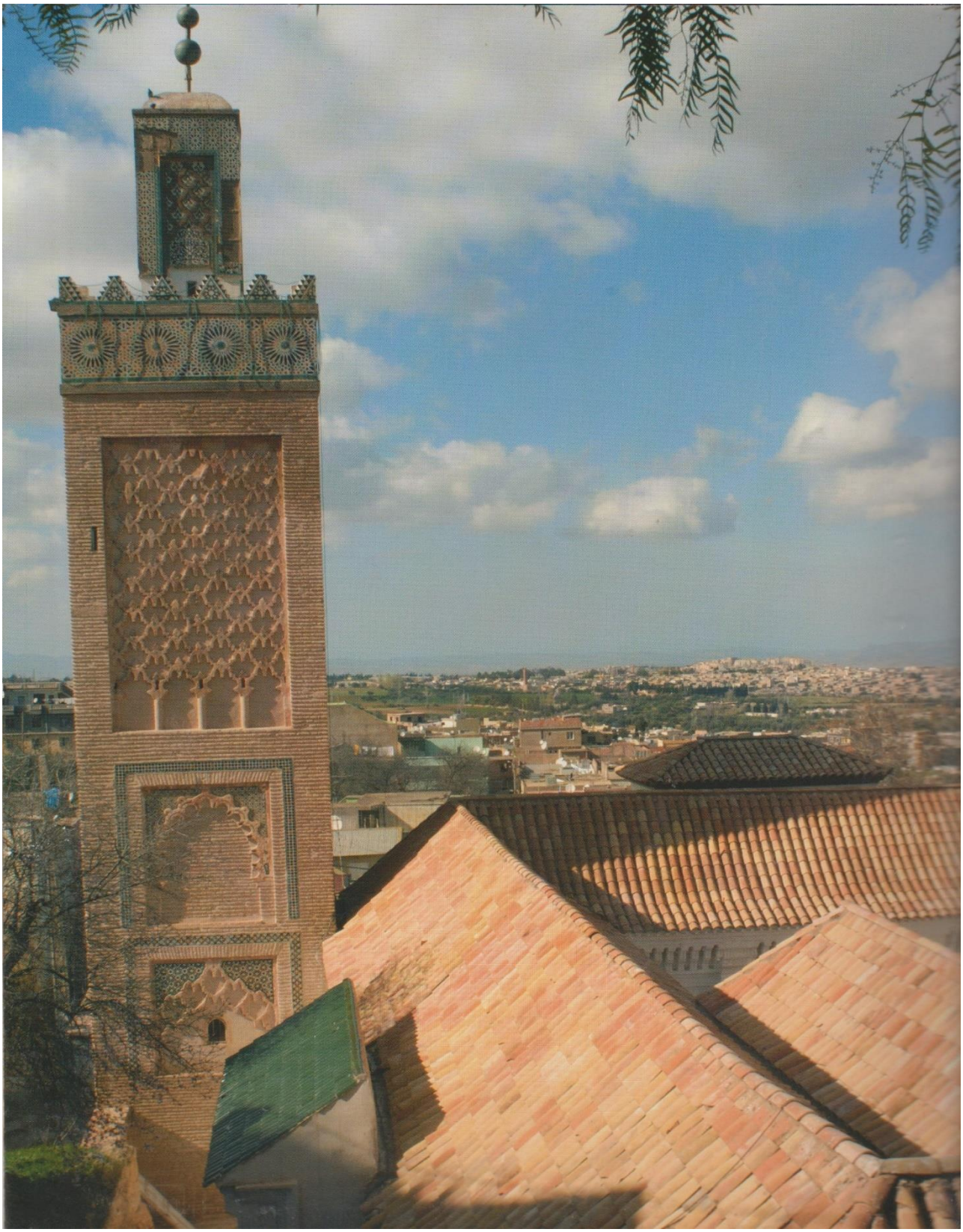

مئذنة جامع سيدي الحلوي بتلمسان

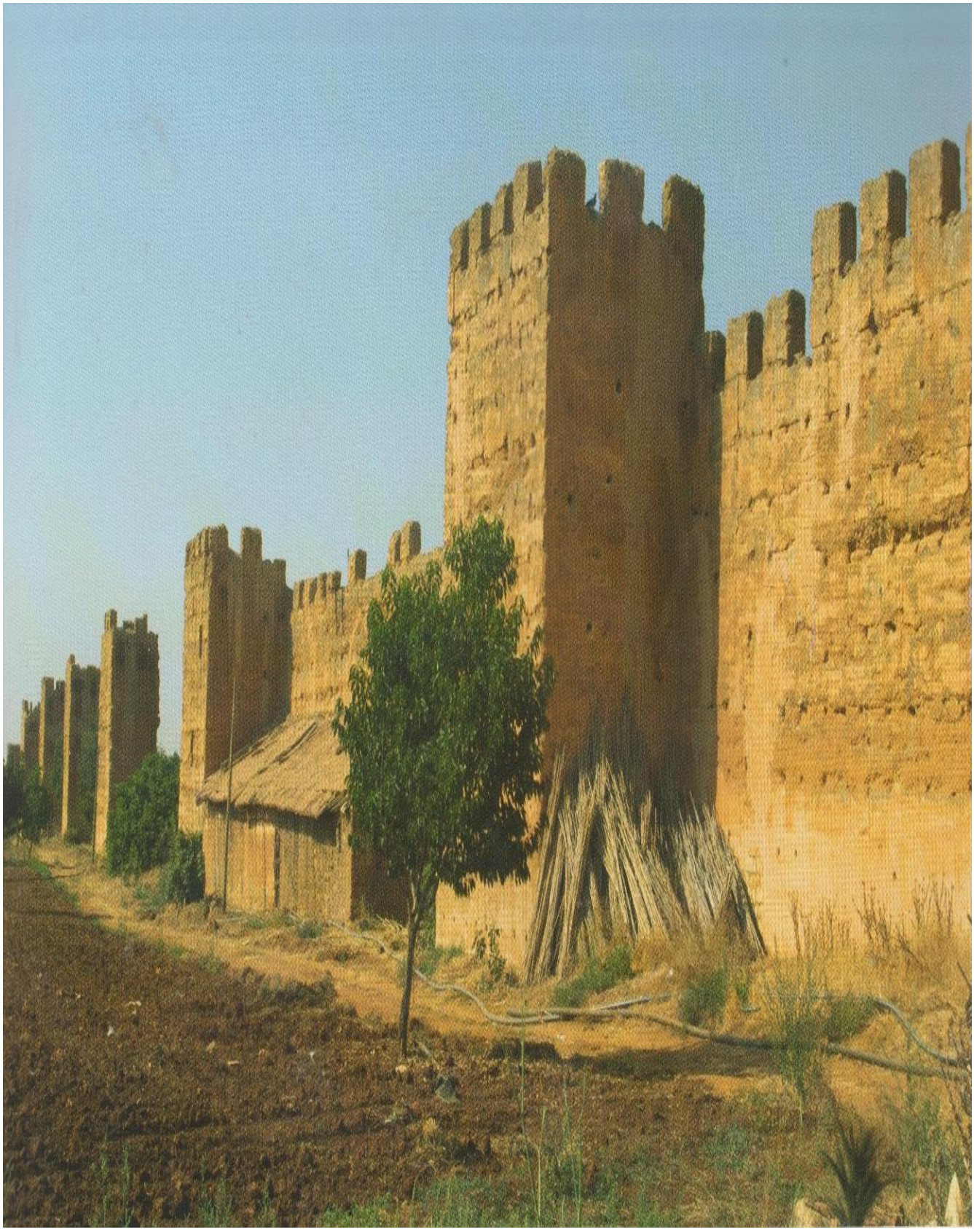

أسوار وأبراج مدينة المنصورة بتلمسان

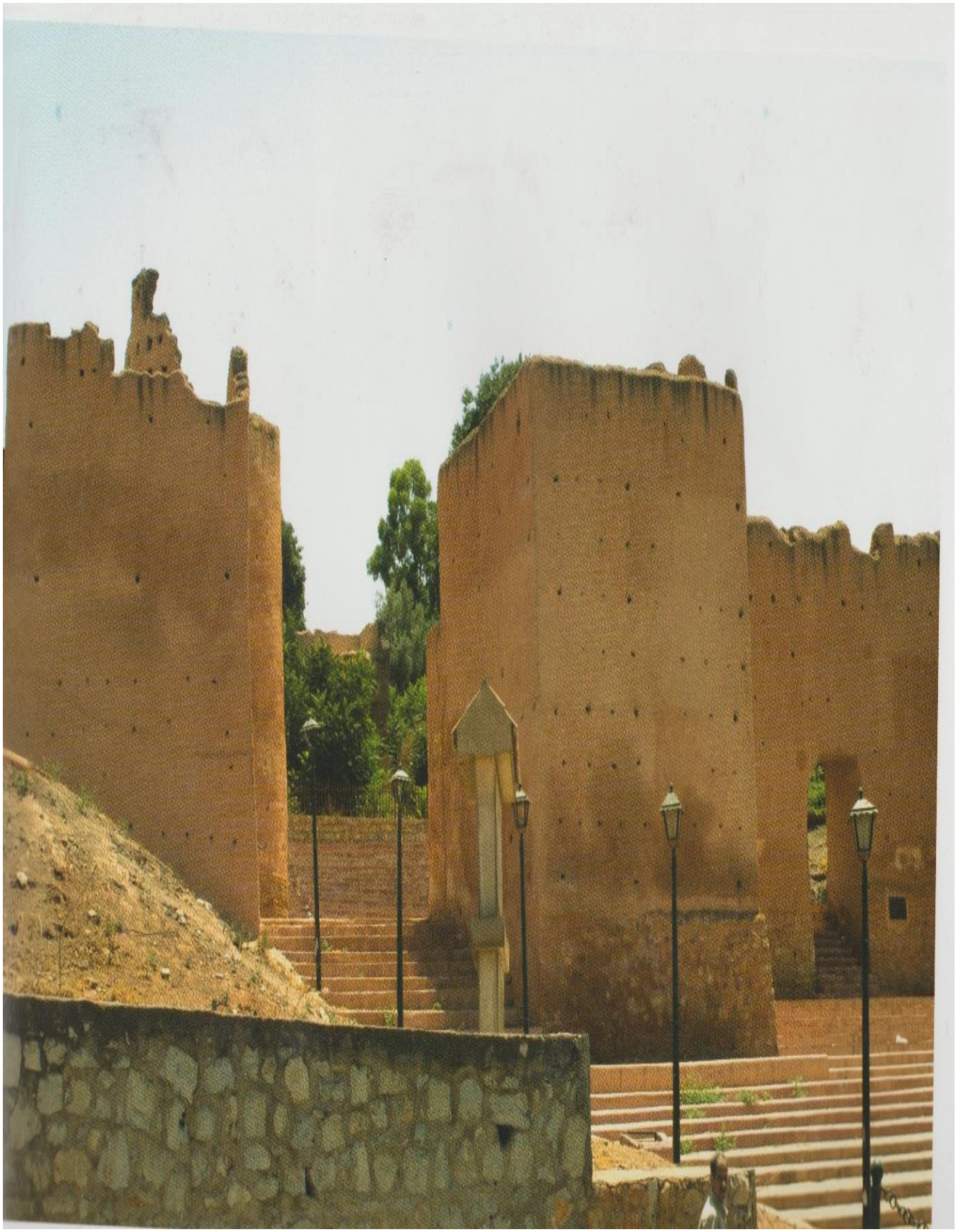

باب القرمدين بتلمسان

صحن جامع سيدي الحلوي بتلمسان

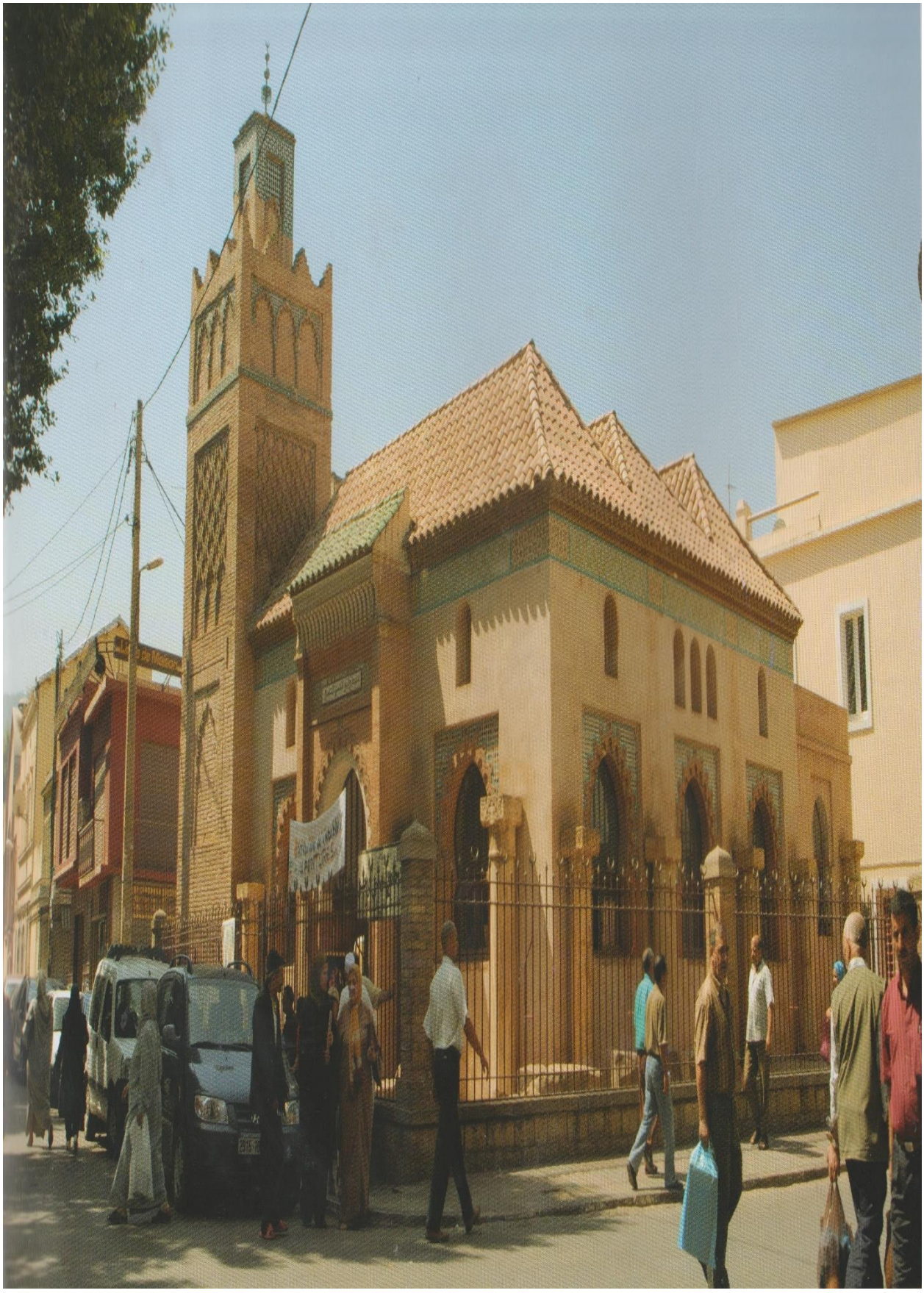

مسجد سيدي بلحسن

مئذنة جامع أغادير

ملخص البحث

تناولنا في البحث موضوع تلمسان في الشعر العربي القديم في فترة بني عبد الواد، من خلال نماذج مختارة، أبرزت فيها تلمسان الحاضرة العمرانية والطبيعية والأخلاقية.

من خلال هذا الموضوع نجد أن لتلمسان منزلة مرموقة في تاريخ المغرب العربي ساعدها في ذلك موقعها الجغرافي الممتاز، كما أنها من المدن التي نالت حظا وافرا من الاهتمام فاحتفى بها الشعر سواء من نسيج أهلها أو من صنع أمثالهم إذ تعتبر تلمسان هي شواهد مدونة وتاريخ ناطق، بفضل سياسة ملوكها وما حققوه من انتصارات في ساحات الوغى اكتسبت من خلالها مهابة في نفوس الأعداء، إضافة إلى ازدهار وانتعاش اقتصاد الدولة الزيانية وما تدرّ به من غنائم على خزينتها.

بفضل هذه النقاط توصلنا إلى أهم النتائج التي مثلت زبدة هذا البحث، وهي:

أن العمران في العهد الزياني بلغ أوج تقدمه وإزهاره وهذا راجع لكثرة ما فيها من المباني الفنية الرائعة.

تمتاز تلمسان بجمالها الطبيعي الساحر المتمثل في غاباتها وينابيعها ما جعلها قبلة للشعراء.

كان المجتمع الزياني في الفترة العبد الوادية مزيج من الأجناس وذلك بتنوع أديانه وثقافاته وهذا يدخل ضمن السياق الأخلاقي المتمثل في الأخلاق الاجتماعية والدينية.

Abstract

We discussed the topic of Tlemcen in ancient Arab poetry in the period of Bani Abdel-Wad, through selected models, in which Tlemcen highlighted the urban, natural and ethical metropolis.

Through this topic, we find that Tlemcen has a prominent position in the history of the Arab Maghreb, which was helped by its excellent geographical location, And it is one of the cities that received much luck attention Vaanvy her hair both of the fabric of her family or from making their ilk Tlemcen is considered as evidence of the Code and the date of spokesman, Thanks to the policy of its kings and the victories they achieved in the battlefields, through which they gained prestige in the hearts of enemies, In addition to the prosperity and recovery of the economy of the Zian state and the spoils it generates in its treasury.

Thanks to these points, we reached the most important results that represented the butter of this research, namely:

That the urbanization during the Zayani era reached the height of its progress and flowering, and this is due to the many wonderful artistic buildings it contains.

Its natural beauty, its forests and springs distinguish Tlemcen, which made it a kiss for poets.

The Zayani community in the valley period was a mixture of races, with the diversity of its religions and cultures, and this falls within the moral context of social and religious ethics.

ـ قائمة الرموز المستخدمة
ـ مقدمة ..... أ ـ ب ـ ج
ـ مدخل
أولا : الموقع الجغرافي لمدينة تلمسان 7
ثانيا : أصل بني عبد الواد ونسبهم 9
ثالثا : الأسماء القديمة لمدينة تلمسان..... 10
رابعا : نماذج شعرية لشعرائها..... 12-11
1/ الثغري التلمساني..... 11
2/ المقري التلمساني..... 12
3/ محمد التلاليسي..... 12
الفصل الأول : الفضاء الزمكاني للدولة الزيانية في فترة بني عبد الواد
أولا : الحياة السياسية وأهم الأحداث التاريخية 19-14
ثانيا : الحياة الاقتصادية 27-20
أ/ الزراعة 20
ب/ التجارة..... 24
ج/ العمران..... 26-25
الفصل الثاني : تلمسان في الشعر العربي القديم في فترة بني عبد الواد
أولا : تلمسان الحاضرة العمرانية 32
أ/ المساجد 34
ب/ المباني 37
ج/ المدارس 38
د/ الأبواب 39
هـ/ المتنزهات 42-41
ثانيا : تلمسان الحاضرة الطبيعية 44-43
ثالثا : تلمسان الحاضرة الأخلاقية..... 48-45
1/ الأخلاق الاجتماعية 45
2/ الأخلاق الدينية 48
ـ خاتمة 50
ـ **الفهارس**..... 51
ـ فهرست المصادر والمراجع 53-52
ـ فهرست المخططات و الصور 54
ـ ملخص البحث 61